سلسلة تكريم رواد الفكر والإبداع في مملكة البحرين

اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع في مملكة البحرين



علي سيار
عميد الصحافة البحرينية

مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة
للثقافة والبحوث

إعداد
الدكتور منصور محمد سرحان

٤



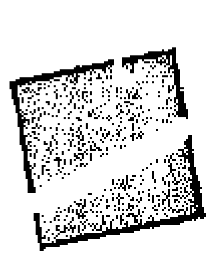
مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة
للثقافة والبحوث

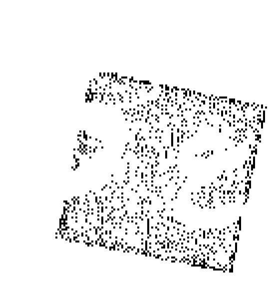


اسم المصنف : سلسلة تكريم رواد الفكر والإبداع في مملكة البحرين
علي سيار (عميد الصحافة البحرينية)
نوعه : كتاب
مادته : سيرة ذاتية
اسم المؤلف : د. منصور محمد سرحان
الناشر أو المطبعة : مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة
البلد : البحرين

رقم الناشر الدولي : ISBN 99901-95-00-5

رقم الإيداع بإدارة المكتبات العامة : د.ع. 2005/4673م





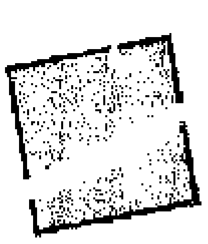

علي سيار

محطات من سيرة حياته

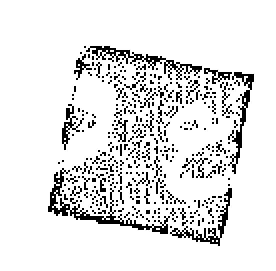


محطات من سيرة حياته

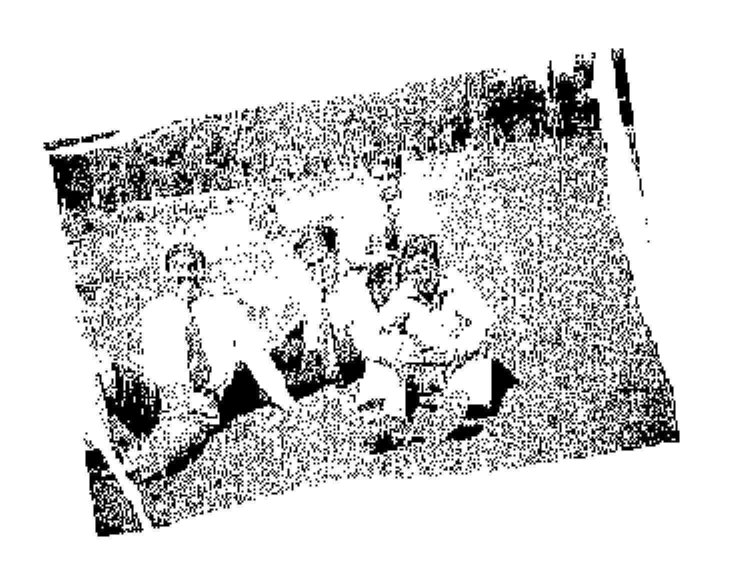
• ولد في مدينة المحرق.	عام ١٩٢٨م .
• التحق بمدرسة الإصلاح الأهلية .	في عام ١٩٣٦م .
• التحق بمدرسة الصناعة بالمنامة .	في عام ١٩٤٢م
• التحق بمدرسة بولاق الصناعية بالقاهرة.	في أواخر عام ١٩٤٤م .
• حصل على دبلوم صناعة من القاهرة .	في عام ١٩٤٨م .
• نشر أول مقالة لـه في مجلة (المجتمع الجديد) المصرية .	في عـام ١٩٤٥م .
• نشر أول مقالة له في مجلة (صوت البحرين).	في عام ١٩٥٠م .
• أسس ورأس تحرير جريدة (القافلة).	فـي الفترة من ١٩٥٢م إلى ١٩٥٤م .
• أسس ورأس تحرير جريدة (الوطن) .	في الفترة مـن ١٩٥٥م إلى ١٩٥٦م .
• تقلد أول منصب سكرتير لنقابة العمال في عهد هيئة الاتحاد الوطني .	في عام ١٩٥٤م .
• نفي إلى دولة الكويت في عام ١٩٥٦م وبقي هناك حتى.	عام ١٩٦٦م .
• رحل إلى دمشق.	في عام ١٩٦٦م .
• عاد إلى البحرين في شهر ديسمبر.	من عام ١٩٦٦م .
• اصدر صحيفة (صدى الأسبوع) .	في الفترة من عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٩٩م .
• انتخب عضوا فـي المجلس التأسيسي الذي تولى صياغة دستور.	عام ١٩٧٣م .
• صدرت لـه مجموعة قصص قصيرة في كتاب بعنوان (السيد).	في عام ١٩٧٦م.
• كاتب عمود يومي بجريدة (أخبار الخليج) اعتبارا .	من عام ١٩٩٦م .
• حائز على جائزة الرواد من مؤسسة تريم عمران الثقافية والإنسانية بالإمارات العربية المتحدة.	عام ٢٠٠٥م .
• نظمت محافظة المحرق ومسرح الجزيرة حفلا تكريما لـه ساهمت فيه جميع الفعاليات والمؤسسات المختلفة .	في ١٣ يونيو ٢٠٠٥م .
• كرم من قبل اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع بمملكة البحرين كرائد مبدع من رواد الفكر والإبداع في مملكة البحرين تقديرا لما بذله من جهود كبيرة في المجال الوطني والصحفي .	في ديسمبر ٢٠٠٥م .



محطات من سيرة حياته







أولا: كلمات اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والأبداع

- المقدمة ومحطات من سيرة حياته

بقلم الدكتور منصور محمد سرحان

- كلمة محمد حسن كمال الدين
- كلمة مي بنت محمد آل خليفة







المقدمة

بقلم : الدكتور منصور محمد سرحان

عمل الأستاذ علي سيار منذ شبابه وحتى يومنا هذا في خدمة العلم والثقافة والصحافة ، وواجه المشاكل والأزمات بروح التفاؤل والأمل ، وبإصرار وعزيمة لا تعرف الملل والكلل ، فحقق الكثير مما كان يتطلع إلى إنجازه .

والمتبحر في سيرة حياته يقدر الدور الفاعل الذي لعبه في مجال الصحافة على مدى أكثر من نصف قرن . لقد وضع اللبنة الأساسية في مجال الصحافة المحلية، وبرز رئيسا لتحرير جريدتي القافلة ، والوطن في الخمسينيات ، وصدى الأسبوع في الستينيات من القرن المنصرم .

لم يقتصر دوره على إصدار الصحف والعمل على تطويرها مادة وإخراجا ، بل كان وما يزال مدرسة تخرج منها الكثير من رجال الصحافة المحلية ، واصبح بعضهم من كتاب الأعمدة المشهورين في الصحافة المحلية

ويرجع إليه الفضل في حفظ الجزء الأكبر من تراثنا الصحفي منذ بدايته الأولى في عام ١٩٣٩م مرورا بسنوات الخمسينيات والستينيات والسبعينيات ، ولولا جهوده تلك لفقدنا الكثير من تراثنا الصحفي . فبفضله استطاع الباحث بالتعاون مع بيت عبدالله الزائد لتراث البحرين الصحفي من إعادة طبع جميع أعداد مجلة (صوت البحرين) الصادرة في الفترة من عام ١٩٥٠م إلى عام ١٩٥٤م .

علي سيار قامة شامخة وفكر نير وشخصية متعددة العطاء ، لعب دورا بارزا في مجال الحركة الوطنية أبان فترة الخمسينيات من القرن الماضي ، وهو بالإضافة إلى ذلك أديب متميز ، وقاص يتمتع بخيال خصب ، وشاعر مرهف الحس . حفر في ذاكرة الزمن بصمات لن تنس في عدة مجالات وبخاصة في مجال العمل الصحفي ، فاصبح بحق عميد الصحافة البحرينية .

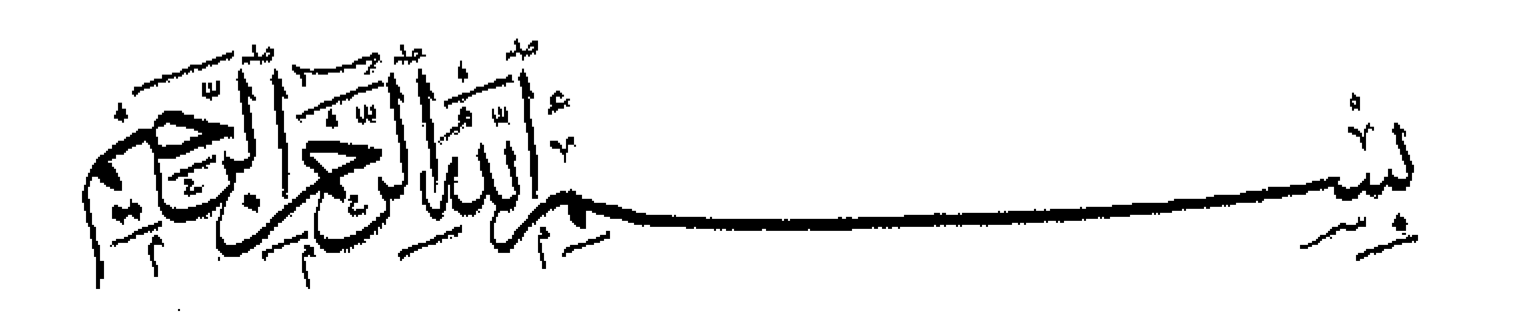
ويأتي إصدار هذا الكتاب ليوثق جزءا من سيرة حياته الحافلة بالعطاء الجم ، كرائد مبدع من رواد الفكر والإبداع في مملكة البحرين



كلمة الأستاذ / محمد حسن كمال الدين







ظاهرة لسانية متفردة ... برزت من خلالها انتماءاته الوجدانية للوطن ... انتماءاته الحقيقية للوطن .. انتماءاته الصميمية للوطن ... انتماءاته الأصيلة للوطن ... انتماءاته الصادقة لتربة الوطن ...

الأستاذ علي سيار ... يجد الأرض في ظاهرته اللسانية ... يجد الأرض في أفكاره المتقدة ... الأرض تنمو في أحشائه فتتحول في كل حال إلى زمان ومكان وعقيدة ...

من من جيلنا لا يعرف علي سيار وحسن الجشي ومحمود المردي ؟ من منا لا يتذكر صولاتهم الصحفية ؟ من منا لا يتذكر دعواتهم لتراحم أكبر ... وتآزر أقوى ... بين فئات الشعب ؟ من منا لم يدرك إدراكهم أن هناك من ينهش الفئات المكونة لهذا الشعب الطيب .. ؟

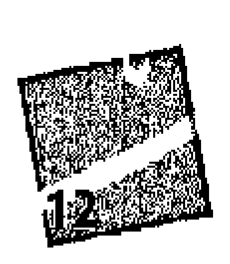
كلنا يذكرهم ... كلنا يعلمهم ... كلنا عرف علي سيار ... ذلك القلم الذي لم يتغيب عن إحساسه العميق بالأرض ... كلنا عرف علي سيار مسكونا بحب الأرض ... بحب الوطن ... بحب أهل الوطن ...

ولن أكون مبالغا .. فهو من الصحفيين الذين اتخذوا الكتابة وسيلة لا غاية ، وسيلة يحقق بها أنبل رسالة لمواطن بسيط لا يعرف حقوقه الجوهرية .

هو ظاهرة في الحرية ... لأنه وظف إنسانيته للدفاع عن العقل ... ظاهرة في الحرية التي يتوازن فيها الإنسان بالأرض ... توازنا عذبا شفافا إلى أبعد الحدود .

عاش الغربة ... كما عاش الوطن ... وكلنا عليم أن أرض الغربة ليست مفروشة بالمشموم أو الرياحين ... أرض الغربة ... مفروشة بالصخور ... بالحفر .. بالمطبات ... مفروشة بالمنغصات ... مفروشة بذلك الإحساس بالغربة ... ومن درج على أرض الغربة ... يعلم عمق المصاعب التي عليه أن يجتازها ... يعلم كثرة المساحيق التي عليه أن يدهن بها ملامحه ... لينزلق بين تلك الصخور ..

عاش علي سيار في أرض الغربة ... ذاق حلوها ومرها ... ورأى بأم عينيه ألوانها الداكنة والفاتحة ... دفع ثمن المنغصات ... أحزانه وقر المصيبة ... لكنه لم يختلق أسبابا للحزن ... بل حمل نفسه على تقبل الواقع ... لأنه لا يفرح بدون سبب ... وليس عنده تفاؤل عبيط ... فلا يسمى الحلو مرا ... ولا يسمى الهزيمة نصرا ...وهو يمتلك التوازن في دخيلته ... وأظن أن هذا التوازن ، هو مدعاة رضاه .



عنده أحاسيس . . . أو وساوس . . . مرهفة . . . تجاه القضايا التي لا منطق فيها . . . ولا حكمة . . . ولا مصلحة . وكأني به يردد بصورة آلية : « من يضمن استواء الأحوال في غد ؟ « . . .

وأنا أحدثه . . . أشعر دائما أن أشد ما يثيره . . . هو فقدان المنطق في التصرف والكلام . . . إنه لا يحترم الالتواء في الكلام . . . يتعبه غباء من يتعامل معه . . . لا يخشى عواقب الكتابة الصادقة . . . تراه مسحورا بصاحب المنطق الأحق . . . ومفتنا به . . . مهما يكن هذا المنطق موجعا لـه . . . شعاره في عمله :»إن انتظار المثوبة يتعب المنتظر».

في نظره . . كل عناصر الإثارة المجانية في الكتابة ، وفي القول . . . وفي الشعارات ، هي مدانة . . . وكل تعال . . . وتبختر . . . يراهما تفاهة وسفاهة . . .

في نظره . . . إن التطرف وحشية مطلقة .
« الحرية « في أفق علي سيار الفلسفي . . . تشغل حيزا واسعا من اهتماماته .

فهو مع المظلوم ضد الظالم « في وقوع الظلم عليه حقيقة « .

هو مع المسجون ضد السجان « في واقع براءته حقيقة « .

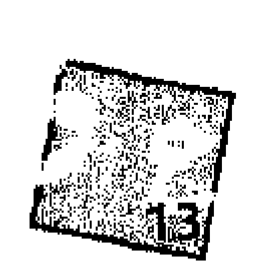
هو مع الحرية ضد العبودية « الحرية التي لا تتجاوز حريات الآخرين .

هو مع مبدأ الإقناع لا الإعنات « في الحق الإنساني « .

هو مع الدعوة للصدق والصراحة في القول والكتابة .

هو مع إيصال الخير إلى المواطن الفرد مباشرة . . . ومن أيسر الطرق . . . لأنه يرى ضياع الفرد ينبني عليه ضياع المجتمع .

الحرية . . . يعبر عنها في الكتابة . . . مذهبه فيها يقوم على القناعة والعقيدة .
لهذا وذاك . . . انتشر علي سيار في منطقتنا العربية . . . انتشر كاتبا صحفيا جريئا . . . صادق الكلمة . . . رغم



وجود جهة عريضة تختلف مع أفكاره ... وما أحراني ... وأنا أخاطب عقول الصفوة من مثقفي وطننا الحبيب ... أن أعلن عسر فهمي لبعض ما كتبه علي سيار ... وربما هذا عيب أتلبسه أنا ... وربما أصاب هذا العسر أشتاتا من الناس ... فاختلاف الفهم عند الأفراد كاختلافه بين القبائل ...

ولكني أثق أن عسر الفهم ... وفي أحايين كثيرة ... لا يفسد عمق الملامح للمثقف الحقيقي ... ولا يفسد العلائق الإنسانية بين المثقفين .

وأنت يا أبا وائل ... مشيت الطريق ... لكنه الطريق الوعر ... مشيت بعيدا ... بعيدا ... فاختصرت قربك في مليون ورقة ... بيضاء ... وسوداء ... وحمراء ... هي أجمل أوراق الصحافة ... لم ينل منك هذا الطوفان من آراء السياسيين ... لأنك كتبت ... وأنت راض عما كتبت ...

حزنت ... وفرحت ... وتألمت ... لكنك لم تشك في قدرة التاريخ على النمو والازدهار ... كان سلاحك قلما مرهفا ... ما انغرس إلا في الفضاء الرحب ... وفي القلب الرحب ... وفي الضمير الرحب ...

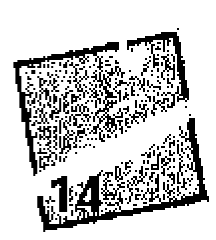
كن قرير العين يا أبا وائل ... فأمانتك بيد الأجيال ... بيد تلامذتك ... إنهم يشمون رائحة شجرة كتاباتك ... وسينقلون أمانتك من ردح إلى ردح ... ومن نسل إلى نسل ... سينقلون وفاء ابن الوطن ... سينقلون وفاء المحرق لهذا الوطن ...

ونحن في اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع ... إذ نكرمك ... إنما نكرم فيك أنفسنا ... لأننا ننتمي لهذه التربة ... ننتمي للقلم الحر ... ننتمي للكتاب النظيف ...

أخي أبا وائل ... اسمح لي باسم أعضاء اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع ... أن نقلت إليك بعضا من خواطرهم ... وطرفا من أحاسيسهم ... وقبسا من أفكارهم ... عنوانا للمحبة المجردة من كل غرض

واسمح لي أن أحمل إليك بعض نسائم الزهور ... بريئة من تلوث البيئة الفكرية ... بسيطة بساطة الإنسان البحريني ... جميلة جمال المرأة البحرينية ... نقية نقاء النفس البحرينية ... مزهوة ... زهو العزة البحرينية ... بعيدة عن ريب الشكوك ... ماؤها رقراق ... هواؤها فيه عذوبة الرطوبة ...

أيها الرائد المجنح في سماء الوطن ... لتسمح لي ... وليسمح لي الأخوة والأخوات ... أن أقدم لك باقة من

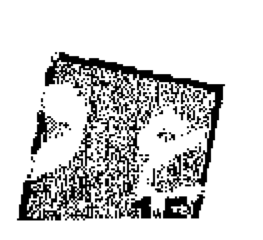


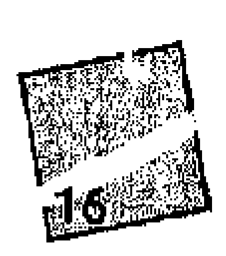
المحبة باسمهم جميعا . . . وأن أشكرهم نيابة عنك وعن اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع . . . لتجشمهم عناء الانتقال من منازلهم العامرة . . . إلى هذا الصرح الحضاري . . . إلى بيت رائد من رواد الثقافة في وطننا الحبيب . . . بيت المرحوم الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة . . . من اجل الاحتفاء بتكريمك . . . من اجل الاحتفاء بشكرك على ما أعطيت . . . على ما قدمت لهذا الوطن الطيب .

واسمحوا لي أيضا وأيضا . . . أن أشيد بالجهد القيم الذي بذله أعضاء اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع . . . الدكتور منصور محمد سرحان . . . والشيخة مي محمد الخليفة . . . والفنان الكبير عبدالله المحرقي . . . على عطائهم المتميز . . . وهممهم العالية . . . وتناغمهم في العمل . . .

أيها الرائد المجنح في سماء الوطن . . . لتسمح لي . . . وليسمح لي الأخوة والأخوات . . . أن أقدم لك باقة من المحبة باسمهم جميعاً . . . وأن أشكرهم نيابة عنك وعن اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع . . . لتجشمهم عناء الانتقال من منازلهم العامرة . . . إلى هذا الصرح الحضاري . . . إلى بيت رائد من رواد الثقافة في وطننا الحبيب . . . بيت المرحوم الشيخ إبراهيم بن محمد الخليفة . . . من اجل الاحتفاء بتكريمك . . . من اجل الاحتفاء بشكرك على ما أعطيت . . . على ما قدمت لهذا الوطن الطيب .

واسمحوا لي أيضا وأيضا . . . أن أشيد بالجهد القيم الذي بذله أعضاء اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع . . . الدكتور منصور محمد سرحان . . . والشيخة مي محمد الخليفة . . . والفنان الكبير عبدالله المحرقي . . . على عطائهم المتميز . . . وهممهم العالية . . . وتناغمهم في العمل . . .

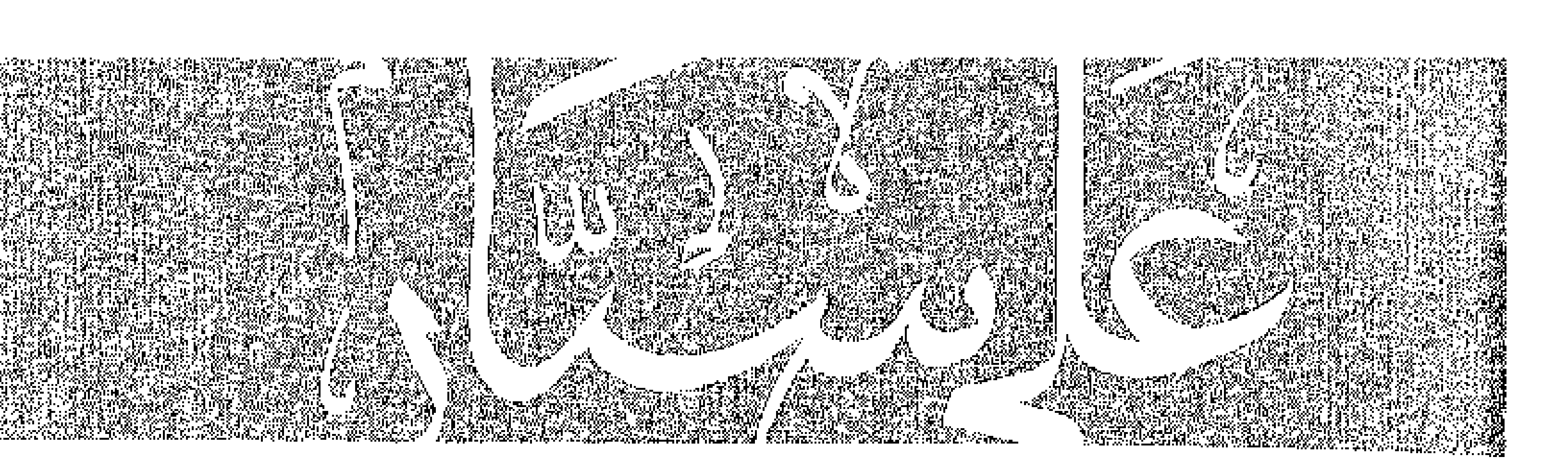




بقلم : مي بنت محمد آل خليفة







بقلم مـي بنـت محمـد آل خليفـة

حين زرته لأول مرة (قبل إثنا عشر عاماً) كان الهدف آنذاك الالتقاء بالأصدقاء المقربين من عمي المرحوم الشيخ خالد بن محمد آل خليفة يوم كان هناك مشروع لكتابة سيرته الذاتية ولم أكن أعلم أن تلك الزيارة أو بالأصح الزيارات الثلاث لأصدقائه المقربين الأستاذ علي سيار والأستاذ تقي البحارنة والمرحوم الأستاذ يوسف الشيراوي ، كانت بداية لمعرفة حقيقية وصداقة قوية لعمالقة من جيل آخر لهم تميزهم ولهم تجاربهم الغنية ومواقفهم الثابتة النابعة من إيمان عميق وإدراك أبعد لخفايا الأمور !

كان ذلك ناتجاً طبيعياً لتجربة غنية عمرها أكثر من نصف قرن حين انبثقت في هذه الجزر في منتصف القرن الماضي، حركة فكرية أخذت على عاتقها عملية تحديث الخطاب الثقافي ونشر الوعي السياسي من خلال الصحافة والمنتديات الأدبية.

من هذه الحركة طالعتنا في الخمسينات دعوة إصلاحية ترتكز في منطلقاتها الفكرية على رجال الصحافة وأصحاب الخطاب السياسي في وقت كان المشهد العربي يعاني تأزماً وتردياً وضع العرب في مهب التغيرات ، وانتقلت فيه المواجهة بين الاستعمار ودعاة التحرير إلى كل الأراضي العربية .

آنذاك كان على العرب أن يختاروا (مثل اليوم) أما أن يتغيروا لما فيه مصلحة القوى الأجنبية ، أو يغيروا أنفسهم بابتكار صيغ جديدة لحياتهم ! تلك الابتكارات والصيغ كانت المحور الأساسي لخطاب الصحافة الذي كان الأستاذ علي سيار أهم أعمدته ودعاماته الرئيسية.

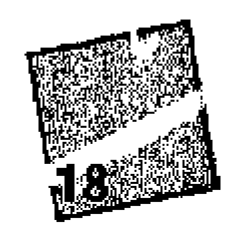
علي سيار رجل وقلم عاصر المتغيرات وعانى من حدة الوصول إلى الحقيقة وعانى أكثر حين استحالت شروحها وأوقفه أمر المنع حين أغلقت صحيفته ، ولكن لتولد من جديد أوراق يتحدي الحبر فيها أختام الشمع الأحمر !

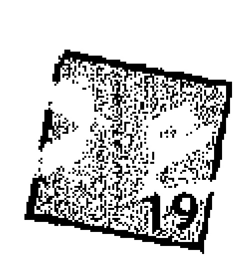
نصف قرن يتغير فيها الزمان ولا يتغير خطاب الوطنية في قلم سيار ، فالحفاظ على الهوية مبدأ أساسي لا رهان عليه والإخلاص وحب الوطن إيمان وعقيدة لا يتنازل عنها.

وبعد الصفحات الكبيرة والمقالات الطويلة يعود في زاوية صغيرة وعمود هو مرة أخرى له من التأثير ما هو أشد من الكتابات المطولة ويحمل من الثقل ما يفرضه الالتزام في زمن المتغيرات ، يحاور وكأنة شاهد على الحدث ويعلق وهو يملك أسراراً لا يدركها الآخرون ! ويتألم لفاجعة عربية ويطالب ويلح بأن تتوقف مأساة عربية أخرى .

علي سيار رجل وقلم تحرر من التصورات المطلقة والرؤى الأحادية والأحكام المسبقة والنماذج الجاهزة لأنه يتواصل حرا من عقد المجاملة!

أنه العملاق الملتزم





النشأة والتكوين



النشأة والتكوين

ولد علي سيار في عام ١٩٢٨م بمدينة المحرق وسط أسرة محافظة ، وتعلم قراءة القرآن الكريم على يد المطوع في إحدى الكتاتيب ، على عادة أبناء البحرين آنذاك في المحافظة على تربية أبنائهم تربية دينية .

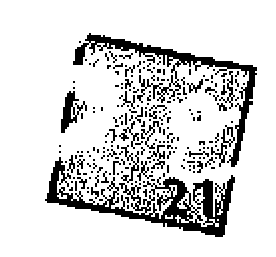
بعد حفظه القرآن الكريم التحق بمدرسة الإصلاح الأهلية في عام ١٩٣٦م ، وكان يديرها الشاعر المعروف عبدالرحمن المعاودة واشترك في نهاية عام ١٩٣٧م مع مجموعة من طلاب مدرسة الإصلاح الأهلية بنشيدة أمام حاكم البحرين آنذاك الشيخ حمد بن عيسى آل خليفة وبقية الحضور بمناسبة افتتاح أول دار سينما في البحرين في المنامة عرفت باسم (مرسح البحرين) .

في عام ١٩٤٢ م التحق بمدرسة الصناعة وهي مدرسة افتتحت في المنامة سنة ١٩٣٧م . جاء التحاقه بالصناعة محض صدفة ، فلم يكن هناك من يرشده في تلك السن المبكرة لاختيار التخصص الذي يناسبه . وكان والده يتمنى له أن يصلي بالناس في المسجد ويبصرهم بشئون دينهم ودنياهم متأثرا في ذلك بما كان يدور في مجلسه اليومي من أحاديث تبحث في قضايا الدين . وكان يتصدر مجلس والده الذي يقع بالقرب من بيتهم الكائن بفريق الشيخ عبدالله بن عيسى ، إمام المسجد المحاذي بيتهم . وكان هذا الشيخ هو الذي يقود دفة الحديث في المجلس ، فيما الكل يصغي إليه في صمت تام .

كان عالم والده غير عالمه الذي يحلم به ، فهو رجل متدين رغب في أن يكون ابنه أحد رجال الدين . فقد كان كل ما يعنيه من أمر ابنه ، هو أن يجلس أمامه فجر كل يوم ، بعد عودته من أداء صلاة الفجر مباشرة ، لمدة لا تقل عن نصف ساعة ، ليعيد عليه ما كان قد لقنه في اليوم السابق من الأحاديث النبوية ، والسور القرآنية ، التي كان يحفظ الكثير منها على الرغم من كونه أمي يجهل القراءة والكتابة .

كان اهتمام والده بتجارة اللؤلؤ ، حيث كان يزاول مهنة (الطواشة) في الصيف كبقية أقرانه من أبناء الطبقة التي كانت تعتبر نفسها فوق المتوسطة . . كان اهتمامه بتلك التجارة أبعدته قليلا عن التفكير في مستقبل دراسة ابنه الذي التحق بمدرسة الصناعة بالمنامة وهو في الرابعة عشر من عمره .







تفوق علي سيار في دراسته في مدرسة الصناعة وكان يحصل دائما على المرتبة الأولى ، إلا انه كان يشعر بأنه اختار التخصص الخطأ . وعلى الرغم من ذلك الشعور فقد تم اختياره للدراسة في مدرسة بولاق الصناعية بالقاهرة .

ففي أواخر عام ١٩٤٤م استقل طائرة (السندرلاند) التابعة لسلاح الجو الأمريكي ، وانطلقت الطائرة من قاعدة الجفير البحرية وعلى متنها تسعة من البحرينيين المبتعثين . وقدر لـه أن يكتشف نفسه في القاهرة ، وفيها وضع صورة تكاد تكون متكاملة لمستقبلة . فحين حطت قدماه في القاهرة ، كانت تلوح في ذهنه الصور الأدبية الرائعة التي كان قد قرأها لطه حسين في (حديث الأربعاء) وكان ذلك أول كتاب أدبي يقرؤه وهو مازال في السادسة عشر من عمره .

بهرته اللوحات التي رسمها طه حسين للعديد من الشعراء القدامى في هذا الكتاب ، خاصة الفصل الذي تحدث فيه عن الشاعر (ابونواس). وعبر بوابة كتاب (حديث الأربعاء) دخل إلى عالم سور الازبكية في القاهرة ، وهو عالم يعرفه كل من عاش هناك . فقد كان هذا السور واحدا من المعالم البارزة في القاهرة ، وفي حياة كل طالب قدر لـه أن يدرس فيها . فعلى امتداد هذا السور الذي كان يحيط بحديقة الازبكية القريبة من دار الأوبرا قبل أن تحترق في السبعينيات ، كانت أكوام من الكتب تغطيه .
كتب في الأدب والتاريخ ، وكتب جامعية ، وكتب قديمة وربما مخطوطة .

كان أي زائر لهذا السور يلتقي بكنوز من هذه الكتب ، وكان علي سيار أمام هذا العدد الهائل من المخطوطات والكتب القديمة والجديدة ، كالعطشان الذي قتله الظمأ فإذا هو يجد نفسه فجأة أمام نهر بارد يتدفق من أعالي الجبل . وهكذا اصبح زبونا دائما لهذا السور التاريخي الذي كان يضم أكبر مكتبة لبيع الكتب في القاهرة . ومن فوق هذا السور اشترى كل مؤلفات طه حسين ، وأحمد أمين ، وتوفيق الحكيم ، وزكي مبارك ، وعباس محمود العقاد ، والمازني ، والمنفلوطي ، والجارم ، والرافعي ، وسلامة موسى ، وكل عمالقة الفكر والأدب في تلك الحقبة الزاهرة من عمر مصر .

عبر سنوات الدراسة التي أمضاها هناك ، تكونت لديه قناعة بأنه لم يخلق للصناعة ، على الرغم من تفوقه في جميع مراحلها حتى في القاهرة ، وأدرك بان وجوده في القاهرة كانت فرصة نادرة نبهته إلى حقيقة أمره وميوله الفكرية ورغباته الذاتية . فقد اكتشف في القاهرة عالما جديدا ومثيرا ، عالما كان يتوق إليه بخياله ، تدفعه إليه اهتمامات ضبابية في داخله دون أن يتبين حقيقتها إلا هناك ، وعلى سور الأزبكية بالذات .





أقبل على اقتناء الكتب بشكل نهم ، وكان لا يعود إلى حيث يقيم بشارع عماد الدين كل يوم ، إلا وهناك كتاب جديد تحت إبطه ، مع ما ينشر في ذلك اليوم من الجرائد والمجلات المتنوعة وبخاصة (روز اليوسف) ، و (آخر ساعة) ، وجرائد البلاغ ، والوفد الناطقة باسم حزب الوفد ، وجريدة الكتلة التي أسسها مكرم عبيد عندما أنشق عن الوفد وأسس حزب الكتلة الوفدية ، وغيرها من المجلات والجرائد التي كان يرى فيها عالما طالما تاق إلى رؤيته .

أخذ يبحث من خلال صفحات الجرائد مواعيد وأماكن الندوات والمحاضرات التي كانت تعج بها القاهرة آنذاك ، حيث كان يحرص على حضورها . وهكذا تعرف على قاعدة « ايوارث « التذكارية بالجامعة الأمريكية في (جاردن ستي) وعلى نادي الخريجين بشارع الألفي وكان يحضر أحيانا مناقشات رسائل الماجستير والدكتوراه في جامعة فؤاد قبل أن تصبح جامعة القاهرة . وتعرف على معظم أماكن التجمعات الأدبية والفنية بما فيها المسارح ودار الأوبرا التي كان يحضر عروضها المسرحية مرتين في الشهر ليشاهد عمالقة المسرح المصري حينذاك في مسرحيات مجنون ليلى ، وكليوباترا ، وبيومي أفندي ، وراسبوتين ، وتاجر البندقية ، وغيرها من المسرحيات العربية والعالمية ، التي فتحت لـه طاقة من المعرفة لم يكن له بها عهد من قبل .

بعد مرور سنة على وجوده في القاهرة بدأ يمارس نظم الشعر بدلا عن مراجعة الدروس التي تتحدث عن الفلزات والعناصر التي يتكون منها الماء ، كما كانت لـه اهتمامات مبكرة هناك بكتابة القصة . أما الشيء الأهم من ذلك هو أنه كان يسجل في مفكرة خاصة كل الأحداث التي كانت تصادفه يوميا ، بما فيها سرد لوصف الرحلات التي كان يقوم بها المعهد البريطاني الذي كان يتلقى فيه دروسا مسائية ، وكذلك الرحلات المدرسية ، وملخصات الأفلام التي كان يشاهدها . وكان يقوم في بعض الأحيان بتسجيل بعض الأحداث التي تجري في الشارع ومن ذلك مثلا ما دونه من وصف تفصيلي للمظاهرة الكبرى احتجاجا على سياسة إسماعيل صديقي رئيس الوزراء آنذاك ، المعروف بعلاقاته بالإنجليز . وقد انطلقت تلك المظاهرة من مدرسة بولاق الصناعية التي كان يدرس فيها ، وهي تهتف بحياة الوفد وسقوط الإنجليز في عام ١٩٤٦م .

شكلت كل تلك الأمور وهو في بواكير شبابه الكثير من قناعاته ، وأولها انه لم يخلق للصناعة وانما لشيء آخر أبعد عن الصناعة . لذلك التحق بمعهد التمثيل العالي في القاهرة حيث انساق وراء فكرة التمثيل ، وذهب إلى مقابلة زكي طليمات ، مؤسس المعهد وعميده بصحبة صديقه المرحوم حمـد الرجيب .

عندما رجع إلى الوطن من دراسته بالقاهرة أخذ يفكر بجد في مستقبله وفي الوظيفة التي يرغب فيها . فقد وجد نفسه مهتما بالصحافة ، بخاصة وأنه تأثر من خلال وجوده بالقاهرة بالجرائد والمجلات التي كانت تصدر هناك .. فكان لها فعلها في نفسه وتكوين مستقبله .



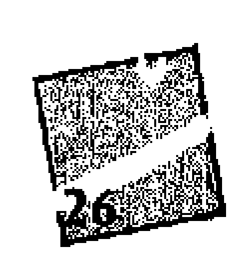







العمل الوطني





الأستاذ علي سيار صحفي مخضرم ، حفر في ذاكرة الوطن بصمات لا تنسى في مجال العمل الصحفي منذ بداية العقد الخامس من القرن المنصرم وحتى يومنا هذا . وهو شخصية وطنية ، متعددة الجوانب كثيرة العطاء .

ارتبط ارتباط وثيقا بالسياسة ، وحرص على طرح الآراء التي تصب في خانة الإصلاح . وكانت مواقفه الوطنية مثار إعجاب الجميع وبخاصة في سنوات الخمسينيات التي شهدت ولادة الهيئة التنفيذية العليا ، والتي تحولت فيما بعد إلى هيئة الاتحاد الوطني .

عاصر الأستاذ علي سيار الحركة الوطنية وعايشها بكل تجلياتها وأبعادها ، وكان دوره فاعلا في الشأن الوطني ومهدت كتاباته ومقالاته والافتتاحيات التي سطرها في جريدة (القافلة) الصادرة في الفترة من عام ١٩٥٢م إلى عام ١٩٥٤م ، و (الوطـن) الصـادرة في عام ١٩٥٥م وحتى عام ١٩٥٦م ، إلى المساهمة في بزوغ الحركة الوطنية في الخمسينيات .

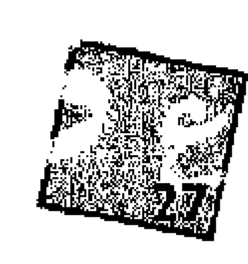
أدرك ببصيرته أن الهيمنة الاستعمارية على البلاد قد أثرت سلبا على مجريات الإصلاح المنشود من قبل فئات الشعب البحريني . وكان يجاهر بالقول بأن هيمنة المستعمر البريطاني يجب أن تزول ، وأن تمنح البلاد حق الاستقلال .

كان لمواقفه الوطنية أثرها في مسيرة حياته الصحفية . فقد تعرضت جريدة (القافلة) وجريدة (الوطن) إلى مضايقات الرقابة آنذاك ، وإلى حذف الكثير من المقالات ، إلا أن ذلك لم يثنه عن الاستمرار في مواقفه الوطنية الداعية إلى نيل البلاد استقلالها .

برز دور الأستاذ علي في الحركة الوطنية منذ بداياتها الأولى . فقد حدثت فتنة طائفية في عام ١٩٥٣م ، واستدرك عقلاء القوم أهمية القضاء على تلك الفتنة ، فعقد اجتماع في منزل السيد عبدالله الزين بفريق كانو بالمنامة حضره معظم أعضاء الهيئة التنفيذية العليا التي شكلت فيما بعد ، كما حضر الاجتماع الأستاذ علي سيار . وتم في ذلك الاجتماع تدارك الأمر فقضي على الفتنة الطائفية في مهدها .

ومن رحم ذلك الاجتماع الذي ضم مجموعة من كبار الطائفتين الكريمتين ، تحولت القضية من معالجة الاحتكاك الطائفي إلى حركة سياسية تطالب بالإصلاح ، وتشكلت بذلك الهيئة التنفيذية العليا في عام ١٩٥٤م التي تحولت فيما بعد إلى هيئة الاتحاد الوطني .





أدى الأستاذ علي سيار دورا مهما في تلك الحركة السياسية الوطنية ، فأخذ يدعم توجهاتها من خلال جريدة القافلة ومن ثم الوطن باعتباره رئيس تحريرهما . كما كان أول سكرتير نقابة العمال التي تأسست في عهد الهيئة ، واصبح رئيس لجنة مكافحة السل ، وهو المرض الذي كان يفتك بالمواطنين . وقد نجح الأستاذ علي سيار وأعضاء اللجنة في جمع التبرعات من التجار ، مما كان له الأثر في القضاء شيئا فشيئا على هذا المرض الخطير .

تسبب إصراره على مواقفه الوطنية ودعمه لتوجهات الحركة الوطنية إلى توقيف جريدة القافلة في عام ١٩٥٤م ، فاصدر جريدة الوطن في عام ١٩٥٥م التي تم إيقافها في عام ١٩٥٦م ، وهو العام الذي شهد إغلاق جميع الصحف الوطنية .

لم تكتفي السلطات البريطانية بغلق الصحف ، بل عمدت إلى نفي العديد من المواطنين ممن لهم صلة بالحركة الوطنية إلى دولة الكويت ، وكان الأستاذ علي سيار واحدا منهم .



بقي هناك من عام ١٩٥٦م إلى عام ١٩٦٦م ، والتقى مع بعض رجال الوطن الذين تم نفيهم ومن بينهم الأستاذ حسن الجشي . وكانوا يدعمون التوجهات الوطنية والمطالبة بالإصلاح والاستقلال من منفاهم .

اشتغل علي سيار في وزارة الشئون الاجتماعية بالكويت ، حيث عين رئيسا لقسم العلاقات الدولية بالوزارة . كما استغل وقت فراغه فأخذ يكتب بصورة مستمرة في صحيفة (صوت الخليج) الكويتية التي يرأس تحريرها صاحبها باقر خريبيط . كما كتب في بعض الصحف الكويتية الأخرى مثل (الطليعة) وغيرها . في الكويت جدت ظروف معينة دفعته إلى أن يخرج منها في عام ١٩٦٦م حيث توجه إلى البحرين ، فمنع من دخولها ، فتوجه إلى أبو ظبي ، وهناك أيضا ، همس أحدهم في إذنه بان يغادر أبو ظبي .. ومن أبو ظبي إلى دبي ... ولم يكن الحال هناك بأحسن من أبو ظبي ، فإذا به يجد نفسه في قطر .

هناك استقر به المقام لفترة من الوقت فتيسر له أن يحصل على وظيفة في البنك البريطاني كمساعد تجاري ... وفي اليوم الذي كان مقررا أن يستلم فيه عمله في البنك جدت ظروف معينة جعلته يرحل عن قطر ... فكان أن اختار هذه المرة أن يذهب إلى لبنان ، حيث من هناك توجه إلى سوريا ... ومن سوريا تسنى له أن يعود إلى البحرين بعد إقامة في دمشق امتدت لاشهر ... وكانت عودته في شهر ديسمبر ١٩٦٦ .

توج علي سيار عمله الوطن بالمساهمة في صياغة الدستور في عام ١٩٧٣م لكونه عضوا في المجلس التأسيسي الذي تولى صياغة أول دستور في البلاد .





العمل الصحفي





ولد علي سيار ليكون صحفيا وهذا ما برهنته الأيام . فقد كان شغوفا بالكتابة الصحفية منذ صباه . ففي عام ١٩٤٣م حين كان في الخامسة عشر من عمره كتب مقالة صحفية تناول فيها وضع المصاحف التي كانت تقرأ في المساجد أيام الجمع ، حيث لم يكن هناك من يعتني بها أو يقوم بإعادة تجليدها بعد تكرار استعمالها .

حاول نشر تلك المقالة في جريدة (البحرين) لصاحبها عبدالله الزائد ، على أمل أن يتولى الشاعر عبدالرحمن المعاودة الذي كان سيار يدرس بمدرسته الأهلية باعتبار المعاودة صديق مقرب من الزائد ، إلا أن المقالة لم تنشر ربما لعدم اقتناع رئيس تحرير الجريدة بها . ولم يكن يملك على سيار ساعتها من أدوات التعبير غير بعض سور القرآن الكريم وبعض من أشعار (القراءة الرشيدة) ، ومقاطع من الروايات المسرحية التي كان يؤلفها المعاودة ويقوم التلامذة بتمثيلها في نهاية كل عام دراسي .

على الرغم من عدم نشر أول مقالة له ، فقد كان شغوفا بقراءة الصحف ولم يؤثر ذلك سلبا في نفسيته . فعندما سافر للدراسة في القاهرة في نهاية عام ١٩٤٦م واظب على قراءة الصحف بشكل منتظم يوميا ، واخذ يقرأ الكثير من الصحف التي كانت تصدر حينذاك وتميزت بصداها مثل روز اليوسف ، وآخر ساعة ، والأهرام وغيرها .

تأثر بالصحافة المصرية وكانت متنوعة في توجهاتها والمواضيع التي تضمها صفحاته وببعض كتابها المشهورين وقد انعكس ذلك على حياته العملية عندما رجع إلى البلاد ، فانخرط في مجال الكتابة الصحفية عندما صدرت مجلة (صوت البحرين) في عام ١٩٥٠م مبشرة ببدء النهضة الصحفية التي عاشتها البحرين في عقد الخمسينيات من القرن العشرين .

كتب أول مقالة له في مجلة (صوت البحرين) في عددها الأول بعنوان (نصفنا الحلو ... مر !!) تناول فيه مشكلة الزواج وغلاء المهور وبعض المشاكل الاجتماعية الخاصة بالزواج .

وفي العدد الثامن من السنة الأولى الصادر في شعبان ١٣٧٠ هـ ، كتب مقالة بعنوان (في مفارق الطريق) تناول فيها بشكل مسهب الوطن العربي والمشاكل التي تحيط به من جوانب مختلفة .

وختم كتاباته في مجلة (صوت البحرين) بقصيدة (رجع الصدى) نشرت في العدد ١٢ من السنة الأولى الصادر في ذي الحجة ١٣٧٠ هـ . ردا على قصيدة الشاعر عبدالرحمن المعاودة التي نشرت في العدد الثامن من المجلة





هكذا كانت بداياته الصحفية في البحرين وهي بدايات تبشر ببروز صحفي على درجة كبيرة من التميز .. فبعد أن خاض تجربة الكتابة الصحفية منذ الأربعينيات وبداية الخمسينيات ، أخذ يتطلع إلى ما هو أهم من ذلك . فقد تطلع إلى إصدار صحيفة مع مجموعة من أصدقائه تعكس هموم شعب البحرين وتطلعه إلى مستقبل واعد بعيدا عن سلطة الأجنبي واستعماره . وكان له ما أراد من خلال ترأسه تحرير جريدة (القافلة) التي صدرت في عام ١٩٥٢م واستمرت حتى عام ١٩٥٤م ، وترأسه تحرير جريدة (الوطن) الصادرة في عام ١٩٥٥م وتوقفت في عام ١٩٥٦م . واصدر في عام ١٩٦٩م مجلة (صدى الأسبوع) واستمرت حتى عام ١٩٩٩م حيث توقفت وتحولت ملكيتها إلى مؤسسة الأيام .

ويمكن تتبع الجهود التي بذلها في تأسيس الصحافة البحرينية من خلال الاطلاع على مسيرة الصحف الثلاث التالية :



اولا: جريدة (القافلة) ١٩٥٢م - ١٩٥٤م

جريدة أسبوعية جامعة ، صدرت مرة كل أسبوعين وكانت تطبع في مطابع دار المؤيد في البلاد . صدر عددها الأول في ١٩ صفر ١٣٧٢هـ الموافق ٧ نوفمبر ١٩٥٢م في قطع تابلويد (٤٣ x ٢٩سم) ، وتغيرت ابتداء من عددها الثاني الصادر في ٢١ نوفمبر ١٩٥٢م فأصبحت بالقطع العادي (٥٨ x ٤٣سم) وكان عدد صفحاتها أربع صفحات على ورق صحف عادي ، علما بأن العدد الأول جاء في ٨ صفحات . أخذت ملامح التطوير ترتسم على صفحات الجريدة بدءا من العدد السادس الصادر في ١٧ يناير ١٩٥٣م . فقد شمل التطوير ترويستها وعناوين أبوابها الثابتة ، حيث استخدمت خلفيات سوداء وإطارات مزخرفة ، وزاد عدد صفحاتها إلى ست صفحات خالية من الصور عدا بعض الإعلانات القليلة .

جاء في ترويسة العدد التاسع الصادر في ١٧ إبريل ١٩٥٣م العبارة التالية : جريدة أسبوعية جامعة تصدر مؤقتا مرة كل أسبوعين . وتم استخدام الصور لأول مرة في عددها التاسع ، ثم توالى استخدامها للصور بكثرة حتى أنها أصدرت في العدد ١٥ عددا خاصا مصورا بمناسبة عودة الشيخ سلمان بن حمد آل خليفة حاكم البحرين آنذاك من لندن حيث شارك في حضور احتفال تتويج الملكة اليزابيث .

أما عدد صفحاتها فهو غير ثابت ، فقد بدأت بأربع صفحات ثم زادت إلى ست صفحات بدءا من العدد السادس وإلى عشر صفحات في العدد ٢٨ الصادر في ٤ فبراير ١٩٥٤م . وبعد ذلك اخذ عدد صفحات الجريدة تتراوح بين ١٠ صفحات و ١٢ صفحة .



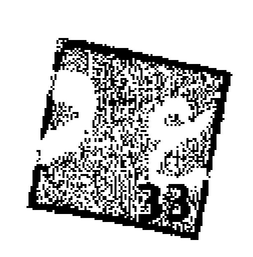
ذكر في العدد الأول ثمن الجريدة ست آنات ، وقيمة الاشتراك السنوي في الداخل أربع روبيات ، وفي الخارج نصف جنيه استرليني . وقد زادت قيمة الاشتراك بدءا من العدد السادس الصادر في ١٧ يناير ١٩٥٣م فأصبح ٨ روبيات في الداخل ، وجنيه استرليني في الخارج .

صدرت الجريدة على شكل شركة مساهمة مكونة من أحمد يتيم ، وعلي سيار ، ومحمود المردي ، ويوسف الشيراوي ، وناصر بوحيمد. واشارت ترويسة الجريدة إلى أن أحمد محمد يتيم المدير المسؤول ، وعلي سيار سكرتير التحرير .

وكتب افتتاحية العدد الأول محمود المردي الذي بين في افتتاحيته توجهات الجريدة مركزا على وجوب الوحدة الوطنية قائلا: "في غمرة الحوادث وصخب الهزات الاجتماعية التي انتابت العالم العربي والإسلامي يقف شباب البحرين متفقدا سبيله إلى الفجر الجديد متطلعا بالثمالة من قواه التي أبقتها له أعاصير الألم إلى انتفاضة تعيد له الثقة بكيانه وتحرره وتربط رواسب العز في أعماقه بالطافح من مهانة العصر وانحلال الحاضر . . والطريق أمام أولئك الساعين الدائبين ، وهم قلة ، وعرة وشائكة يزيد من وعورتها الشوائب الراسبة في نفوس بعض أبناء هذا الشعب والتي تأبى أن تماشي التطور وتساير العصر فتفضل البقاء في جمود عصورنا المظلمة ورجعيتنا العتيقة .

والقافلة – وهي رمز الاتصال المتواتر بين السابق واللاحق – قد أنشئت لتحقيق هذه الانتفاضة وتصل الماضي بالحاضر لتخلق فيه مزيجا يتقبله روح الحوادث الحالية في الشرق وانتفاضة الوعي فيه . . وقد اخترنا هذا الاسم لما يختلج بين طياته من معان وما يكتنفه من ظلال تتمثل فيها روعة الماضي وجلالة وقوة الوحدة وعظمتها . فقد كانت القافلة في صدر الإسلام وضحاه عماد الحياة عند العرب وصلة الوصل بين أقطار الإمبراطورية الإسلامية ، وهي علاوة على كونها رمزا للاتصال المادي فان فيها معنى روحيا عميقا ما أحوجنا اليوم إلى تفهمه فيه معنى الاتحاد والتضامن بين أفراد هذه القافلة التي لا يستطيع فرد منها أن يتنكب الطريق ويخرج على المجموع وإلا ضل السبيل وتلقفته شواظ الصحراء ونارها لتفقده الصلة بهذا الوجود الحي .

وما أحوجنا اليوم – كحاجتنا في كل عصر – إلى السير متضامنين متحدين متآخين نحو أهدافنا لنصل بالقافلة إلى مستقرها ونبلغ بها الشاطئ المأمون . . وما أحوجنا أن نحرص على هذا التآخي والتضامن بين أفراد هذه القافلة بكل ما نملك من قوة وسعى فنضرب على أيدي العابثين بوحدتها ونجند قوانا وإمكانياتنا لصيانة هذه الوحدة بكل ما أوتينا من قوة وعزم . . .) واختتم المردي افتتاحيته بقوله : "بقى أن أقول لقارئنا الكريم بأن هذه الجريدة قد أنشئت لتكون منبرا حرا لآرائه وخطراته ونقداته . ولسنا نقتصر في إعطاء هذا الحق لقارئنا البحريني فحسب بل نتعداه إلى جميع قرائنا في البلاد العربية فما نحن فيها إلا حلقة في سلسلة متصلة مترابطة تكون في مجموعها . . . القافلة " .



انصب اهتمام الجريدة على توعية الشعب البحريني عن طريق الأخبار والقضايا التي كانت تطرحها للمناقشة وتهم المواطن ، كما اهتمت الجريدة بمتابعة أخبار الوطن العربي وكانت تعتمد على المقال السياسي والاجتماعي مع وجود أبواب ثابتة منها : (القافلة تسير) ، و (مع القراء) ، كما كان للجريدة عدة أبواب غير ثابتة أضيفت إليها ابتداء من العدد السادس .

كرست الجريدة اهتمامها بالدعوة لنبذ الطائفية ، وكان لها دور بارز في تأييد فكرة إنشاء ناد للسيدات ، ومؤازرة الصحف الوطنية وتبني قضاياها ، ومن ذلك مؤازرتها لمجلة (صوت البحرين) في موقفها من شركة بابكو وامتناعها عن نشر إعلانات لهذه الشركة .

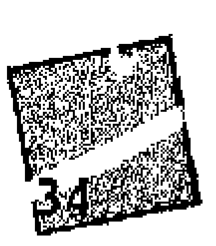
استمرت الجريدة تصدر مرة كل أسبوعين رغم ما جاء في ترويستها بأنها جريدة أسبوعية جامعة . وجاء تعليل رئيس تحريرها في العدد الأول بقوله: "حاولنا عبثا أن نرتب إصدارها أسبوعيا ابتداء من العدد الأول ولكن إمكانية الطبع في الوقت الحاضر حالت دون ذلك ، ونعاهدك أننا سنحقق ذلك في المستقبل القريب " .

يرى هلال الشايجي أسبابا أخرى حالت دون صدور الجريدة مرة في الأسبوع . فهو يرى صدورها أسبوعيا يحتاج إلى بذل الجهد ومواصلة العمل وهو الشيء الذي لم يكن موجودا عند القائمين عليها . وحصر الأسباب التي أدت بالقافلة إلى الصدور مرة كل أسبوعين في أمرين هما:

الأول : عدم تفرغ القائمين عليها لشئون التحرير الصحفي ، (فعلي سيار) رئيس تحريرها كان يعمل في مطبعة المؤيد ، و (محمود المردي) كان يعمل خارج البحرين بالإضافة إلى قلة المحررين وعدم استمرارهم في مكاتبة الجريدة ، فالمشكلة تنحصر في التحرير إذن .

الثاني : إن الجهة المسئولة عن إصدار الترخيص حالت دون صدورها مرة في الأسبوع ، بعد أن تفرغ رئيس تحريرها للقيام بها فقد جاء "أن الحكومة غير مستعدة لمنح الجريدة تصريحا يخول لأصحابها أن يصدروها مرة كل أسبوع .

كانت الجريدة تنشر مقالات تمنعها الرقابة فتترك مساحتها بيضاء في حين يبقي العنوان موحيا بمضمون المقالة . وكانت الجريدة تعد من الصحف المعارضة للسياسة الداخلية في ظل الحماية . وتم إيقافها عن الصدور في نوفمبر سنة ١٩٥٤م أي بعد سنتين من بداية صدورها . فاستصدر القائمون عليها امتيازا آخر باسم (الوطن) .



ثانيا : جريدة الوطن ١٩٥٥م - ١٩٥٦م

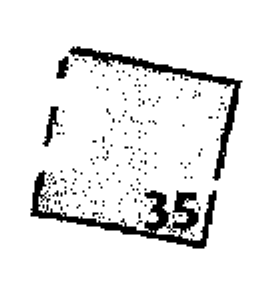
صدرت جريدة الوطن في يونيو من عام ١٩٥٥م بديلا عن جريدة القافلة التي تم إيقافها في عام ١٩٥٤م ، حيث اشترط لاعادة صدورها من جديد أن يتغير اسمها إلى (الوطن) . وقد عانت منذ صدورها من الرقابة الشديدة وظهرت مساحات في بعض صفحاتها بيضاء نتيجة إلغاء الرقابة كثيرا من موادها .

وجريدة الوطن جريدة أسبوعية تصدر مرتين في الشهر مؤقتا كما ذكر ذلك في عددها الأول ، وبقيت كذلك كأختها (القافلة) وقد أنيطت إدارتها بإبراهيم المؤيد ، ورأس تحريرها علي سيار يساعده في التحرير محمود المردي . وهي صورة طبق الأصل من جريدة (القافلة) في تبويبها وتنسيقها واخراجها وموادها . وكانت تطبع في مطبعة المؤيد وتقوم مكتبة الهلال بتوزيعها . وتراوح عدد صفحاتها بين الثمان والعشر والاثنتي عشرة صفحة من الحجم الكبير ، أي أن عدد صفحاتها غير ثابت ، وحدد ثمن العدد بعشر آنات .

ونظرا لكون (الوطن) هي (القافلة) فقد كتبت على الصفحة الثالثة من العدد الأول أبيات لشاعر مجهول - وهو كما تأكد للباحث الشاعر رضي الموسوي - تجسد إصدار القافلة باسم الوطن ، وقد طبعت الأبيات في مربع يتوسطه عنوان (القافلة) . . والأبيات هي:

يقولون تصدر باسم الـــوطن	فقلت الحسين أخـــوه الحســن
ستجري وتجـري كـما يبتغيه	شـباب فـدى نـــفسه للـوطن
نضاعنـــه مـا حبكته الطغـاة	ومـا نسجتـــه أيـادي الـفتـن
مشى في ركاب الحياة وأجرى	بتيـاره عـجـــلات الـزمـــن
وأخـمد نــار دعـــاة الشقاق	والـحـــدهـم بـلبـــاس الكـــفن
فأمسوا وقـــيد بـــما أشعلوه	وقيحا صديدا بـجـرح عـفـــن
يقـــولون تصدر باسم الوطن	فقلـــت الحسين أخـــوه الحسن

تبين افتتاحية العدد الثاني مدى اللغط الذي دار حول بعض مواد العدد الأول ، وحاول القائمون على تحرير الجريدة تصنيف ذلك اللغط إلى ثلاث فئات : فئة تقدر الجريدة وتشجعها ، وفئة تضمر لها السوء ، وأخرى تحاول تهديم ما تم بناؤه . وقد جاء بالحرف الواحد في الافتتاحية ما هذا نصه : "ما أن صدر العدد الأول من الوطن حتى اتسع المجال أمام الألسن للخوض في التعليق ، كل حسب مشاربها وهواها واتجاهاتها . فهناك جماعة وهم الأكثرية الساحقة رحبوا بنتاج أقلامنا الموثقة مقدرين الظروف المحيطة بنا وطالبوا المزيد من العمل المثمر في المستقبل . وهناك جماعة أبت إلا أن تكون السوسة الناخرة فأخذت تفسر كل كلمة بما يرون لها



وقياس اتجاهاتها واهوائها وذلك لكي تخلق جوا مسموما من الريبة وعدم الثقة بين القارئ وصحيفته المفضلة .
أما الجماعة الثالثة وكان دأبها حمل المعول لهدم كل ما تبنيه الأقلام الحرة مستغلة هذا الصمت من الجماعة الأولى والدس من الجماعة الأخرى لتشوه الحقائق كي تصطاد في الماء العكر " .

وأكدت جهة التحرير بالجريدة إلى حدوث بعض الهفوات في العدد الأول : "نحن لا ننكر أن العدد الأول كانت به هفوات غير مقصودة نشأت من ضيق الوقت وتعذر المراجعة . فهناك أتت أخبار لم تكن حقيقة وإنما كانت تلفظ بها السن الناس فساقها محرر الأخبار عن حسن نية ودون أن يعلم ما وراء ذلك اللفظ ".

ومن كتاب الوطن علي سيار رئيس التحرير ، وعبد العزيز الشيخ علي ، وبدرية خلفان ، وعبد الرحمن عاشير ، وحسن عيسى الخياط ، ومحمود المردي ، وحميد صنقور وغيرهم كما شارك البعض بكتابة بعض المقالات والمواضيع بأسماء مستعارة أو بذكر بعض الأحرف فقط .

لقد تم إيقافها مع سائر الصحف المحلية في عام ١٩٥٦م بعد أن بلغ عدد ما صدر منها ٢٦ عددا .

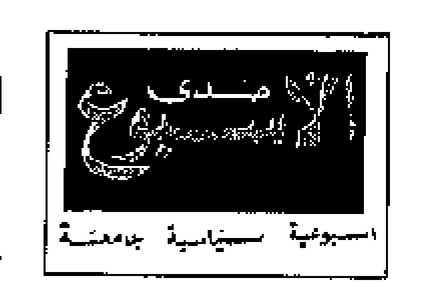


ثالثا : صدى الأسبوع

تعد (صدى الأسبوع) الأقرب إلى قلب علي سيار ، فقد رعاها على مدى ثلاثين عاما أي من عام ١٩٦٩م وحتى عام ١٩٩٩م . ارتبط بها ارتباطا وثيقا ، وكانت مدرسة خرجت الكثير من الصحفيين الذين أصبح لهم شأنا في هذه الأيام في صحافتنا المحلية .

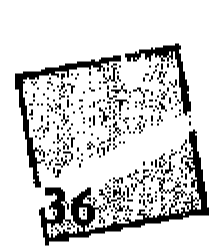
صدرت (صدى الأسبوع) تارة على شكل جريدة بحجم التابلويد وتارة أخرى على شكل مجلة ، وكانت تجربة رائدة وثقت الكثير من تاريخ البحرين المعاصر في مجالاته المختلفة كالتعليم والأدب والشعر ، كما وثقت الحركة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في البلاد .

وقد رأى الباحث تتبع إصدار (صدى الأسبوع) وفق محورين ، يتمثل الأول في صدورها كجريدة والثاني كمجلة .



اولا: صدى الأسبوع (جريدة)

جريدة أسبوعية سياسية جامعة . بدأت بالصدور في ٣٠ سبتمبر من عام ١٩٦٩م. صاحبها ورئيس تحريرها الصحفي المعروف علي سيار ، وشاركه في التحرير مجموعة من الشباب البحريني ومنهم علي صالح الذي أصبح فيما بعد مديرا للتحرير ، وعقيل سوار ، وإبراهيم بشمي ، وعصمت الموسوي ، والمشرف الفني ورسام الكاريكاتير أحمد الخاجة .



صدرت الجريدة في ١٦ صفحة في قطع التابلويد وتغير إلى الحجم الكبير اعتبارا من عامها الثاني . أما غلافها فهو من نفس نوع الورق الداخلي . ويذكر صاحبها بأنها كانت تطبع في البداية بمطبعة أوال ، وانتقلت فيما بعد لتطبع في مطابع المؤسسة العربية للطباعة .

عنيت الجريدة بالقضايا السياسية والاجتماعية المحلية والخليجية ، وكانت توجه نقدها للمسئولين محاولة إدخال الإصلاحات . وقد تعرضت للتعطيل بسبب نقدها الأوضاع السياسية والاجتماعية ، وكان يصاحب النقد بعض الرسوم الكاريكاتيرية المعبرة .

اهتمت الجريدة بالتحقيقات الصحفية وفق المفهوم الحديث إلا أنه اصطبغ بطابع النقد . واتبعت الجريدة أسلوب الصحف الأخرى بتثبيت بعض الأبــواب . فقد برزت فيها أبواب للأدب ، والرياضة ، والفن ، والمرأة ، كما اهتمت بالأخبار المحلية والعربية والعالمية .

استفادت الجريدة من إبراز الرسوم الكاريكاتورية التي تعالج بعض القضايا مما جعلها مميزة في هذا الشأن . وقد حظيت بنصيب وافر من الإعلانات التجارية التي ساهمت بعض الشيء في تمويلها .

توقفت الجريدة عن الصدور في عام ١٩٧١م وكان العدد ١٠٣ العدد الأخير من (جريدة صدى الأسبوع) وصدرت كمجلة في الفترة من عام ١٩٧١م وحتى عام ١٩٩٧م ، حينها قرر رئيس تحريرها علي سيار بتحويلها إلى جريدة مرة ثانية بحجم التابلويد . وقد صدرت كجريدة ابتداء من العدد ١٣٣٠ الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٩٧م ، واستمرت حتى العدد ١٤٤٠ الصادر في ٢٥ مايو ١٩٩٩م حيث توقفت عن الصدور .

صدرت صدى الأسبوع كجريدة في المرة الثانية في ٢٠ صفحة ، وجاء في ترويستها : صدى الأسبوع : أسبوعية سياسية جامعة ، صاحب الامتياز ورئيس التحرير علي سيار . وكانت كسابقتها تهتم بالشئون المحلية والعربية والدولية ، كما تهتم بالأخبار العلمية والثقافية .

من أبوابها الثابتة محليات ، الأسبوع السياسي ، متابعات ، من اجل المستهلك ، فنون ، صحة أفضل عمر أطول ، العالم ، نافذة القراء ، من هنا وهناك .

ثانيا : صدى الأسبوع (مجلة)

مجلة أسبوعية جامعة ، وتعد من بين أقدم المجلات التي صدرت واستمرت في تأدية رسالتها على الرغم من الظروف الصعبة التي اعترضت مسيرتها . فقد بدأت جريدة في عام ١٩٦٩م وتحولت إلى مجلة في عام ١٩٧١



م ، ثم تحولت إلى جريدة في عام ١٩٩٧م ، وإلى مجلة في عام ٢٠٠٠م مما يعكس الظروف الصعبة التي واجهتها « صدى الأسبوع « إثناء مسيرتها الطويلة .

بدأت بالصدور في ٣٠ سبتمبر ١٩٦٩م كجريدة أسبوعية سياسية جامعة ، صاحب الامتياز ورئيس التحرير الصحفي البحريني المعروف علي سيار ، الذي رافقها على مدى ٣٠عاما ، عاش همومها ونكساتها ، ومشى بها إلى أن تم تحويلها إلى مؤسسة الأيام في عام ٢٠٠٠م .

يذكر علي سيار كيف أختار لجريدته ومن ثم مجلته اسم (صدى الأسبوع) بقوله : « في عام ١٩٦٩م ولدت « صدى الأسبوع « واذكر أن الشيخ محمد بن مبارك الخليفة الذي كان يرأس وزارة الأعلام في ذلك الوقت قبل أن تصبح وزارة سألني وهو يسلمني رسالة الترخيص بإصدارها عن اسمها ، فأخرجت ورقة صغيرة من جيبي ، وقدمتها له ، وكان بها ثلاثة أسماء مقترحة للمجلة ، طلبت منه أن يختار واحدة منها . كانت الأسماء هي : « الوطن « و « الرقيب « و « صدى الأسبوع « . واذكر إنني رأيت ما يشبه الحيرة على ملامح وجهه ، وهو ينقل عينه بين الأسماء . وكان يغلب على ظني أنه سيختار اسم (الوطن) فقد كانت هذه التسمية من الأمور الشائعة في الشارع الصحفي حتى اليوم ، غير انه فاجأني ، بما لم يكن في حسباني . فقد اختار تسمية (صدى الأسبوع) . وحين سألته عن سر هذا الاختيار قال لي ما معناه بأن (صدى الأسبوع) اسم جديد ملفت للنظر لمجلة جديدة ، ثم أن هذه التسمية تعكس صدى الأحداث التي تجري خلال الأسبوع . . ولأنها أيضا – قال ذلك مازحا – كمجلة أسبوعية فإنها لا يمكن بهذا الاسم أن تصبح جريدة يومية .

هكذا وفي مكتب الشيخ محمد بن مبارك آل خليفة ، ولدت « صدى الأسبوع « أشبه بطفل ما زال في بطن أمه يتلهف الجميع إلى سماع صرخته وهو يخرج إلى النور .



صدرت (صدى الأسبوع) كجريدة أسبوعية في ١٦ صفحة في قطع تابلويد ، وتغير إلى الحجم الكبير اعتبارا من عامها الثاني ، وتوقفت عن الصدور في عام ١٩٧١ م ، وكان العدد ١٠٣ هو العدد الأخير من الجريدة .

تحولت (صدى الأسبوع) إلى مجلة أسبوعية بدءا من العدد ١٠٤ الصادر في الثاني من نوفمبر ١٩٧١م ، واصبحت تصدر في ٣٢ صفحة . وتغيرت ترويستها واخراج الغلاف حيث تم استخدام لونين فيه مع وجود صور تغطي معظم مساحة الغلاف .

لم يتوقف تطوير المجلة على الشكل والإخراج الفني ، بل امتد لينال التبويب وعرض المادة التحريرية ، مركزة على القضايا التي تهم المجتمع المحلي والعربي .

ومنذ عام ١٩٧٣م زيدت صفحات المجلة واصبحت ٤٠ صفحة ، وتزامن ذلك مع وجود المجلس التأسيسي ، ثم المجلس الوطني الذي خصصت لـه المجلة بضع صفحات لعرض المناقشات التي تجري في جلساته .

في سبتمبر ١٩٨٠م توقفت المجلة لمدة عام تقريبا ، ثم عادت إلى الصدور من جديد بنفس الثوب الذي كانت عليه . وحتى عدد صفحاتها بقيت كما هي تتراوح بين ٣٨ و ٤٠ صفحة . ومن أبوابها الثابتة : لحظة من فضلك ، بعد التحية (الذي تحول إلى بريد القراء) ، وجهة نظر ، تحقيق محلي ، تحقيق ثقافي ، لقطات ، باب البحرين ، هايد بارك ، أوراق قديمة ، مساحة للفكر والفن ، من هنا وهناك ، صحة أفضل عمر أطول .

استمرت المجلة في الصدور على تلك الكيفية حتى عام ١٩٩٧م حينها قرر صاحب الامتياز ورئيس التحرير علي سيار تحويلها إلى جريدة مرة ثانية بحجم تابلويد . وصدرت كجريدة أسبوعية ابتداء من العدد ١٣٣٠ الصادر في ٢٣ ديسمبر ١٩٩٧م . واستمرت في الصدور حتى العدد ١٤٠٤ الصادر في ٢٥ مايو ١٩٩٩م ، حيث توقفت عن الصدور .

يبدوا أن مصاعب جمة واجهتها الجريدة بحيث لم يستطيع صاحبها المضي قدما في إصدارها مما جعله يتخلى عنها إلى مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع ، ويؤكد ذلك علي سيار بقوله : « على مدار سنتين ، كنت اكتشف خلالها كل يوم أنها أي (صدى الأسبوع) كانت تحتضر . . ومن هنا كان لا بد من أن أضع حدا لهذا العناد ، مفضلا المحافظة على تاريخها المشرف وعلى مكانتها في الذاكرة الصحيفة . خاصة وان الخيارات أمامي كانت محدودة وهامش المناورة ضيقا ، فكان أن اخترت مكرها التخلي عنها لمؤسسة الأيام .



تولت مؤسسة الأيام للصحافة والنشر والتوزيع إصدار « صدى الأسبوع « كمجلة أسبوعية بدءا من العدد ١٤٠٥ الصادر في ١٥ يوليو ٢٠٠٠م ، واصبح نبيل يعقوب الحمر رئيس مجلس الإدارة ورئيس التحرير ، وعبد الله سلمان مديرا للتحرير ، وتغيرت ترويستها ونوع الحروف التي كانت مستخدمة في كتابة عنوانها أي (صدى الأسبوع) . وتكونت هيئة للتحرير من حافظ عبد الغفار ، سعيد الحمد ، جمانه عواضه ، هشام عدوان ، وفيصل هيات ، وانيط الإخراج والإشراف الفني بسلمان طربوش . وكتب على غلاف المجلة عددها المتسلسل وفق الآتي : صدي الأسبوع - العدد ١٤٠٥ - يوليو ٢٠٠٠ ، إلا أنه ثبت في جميع صفحات هذا العدد من الأسفل ما يؤكد العدد الأول
ويرز كالتالي : العدد ١ - السبت ١٥ يوليو ٢٠٠٠ م ، غير انه اكتفي في بقية الأعداد برقم العدد المتسلسل الأصلي .

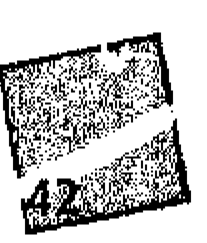
صدرت المجلة في بادئ أمرها في ٥٠ صفحة بالقطع ٢٧X٣٦سم ، وتغير حجمها واصبح فيما بعد ٢٧،٥ X٢٢ سم . أما عدد صفحاتها فقد بقيت ٥٠ صفحة وغلافها من نوع اللماع (ارت بيبر) تتصدره صور بعض مواضيع المجلة .

وعندما عين رئيس تحريرها وزيرا للإعلام حل محله سعيد الحمد مديرا للتحرير ، وسلمان طربوش المسئول الفني ، وكريم سلمان الإخراج .

ومن أبواب المجلة الثابتة : كاريكتير ، تحقيقات ، حوارات ، أسريات ، كمبيونت ، صدى الشاعر ، فنون ، صدى الملاعب ، صدى الجامعة ، بالإضافة إلى المواضيع المتنوعة التي تبرز على صفحات كل عدد . وقد توقفت بعد إصدار بضعة أعداد منها .









أولا : كتابة القصة

يعد علي سيار من بين كتاب القصة الواقعية القصيرة في البحرين ، شهد بنفسه المحاولات الأولى لكتابة القصة القصيرة في عقدي الأربعينيات والخمسينيات من القرن العشرين . ويمكن القول أن فجر كتابة القصة القصيرة ارتبط ارتباطا وثيقا بنشأة الصحافة في البحرين . فقد خصصت (جريدة البحرين) الصادرة في الفترة من عام ١٩٣٩م وحتى عام ١٩٤٤م بعض صفحاتها لنشر المحاولات الأولى لكتابة القصة . وكان الكتاب يخفون أسماءهم تحت أسماء مستعارة نظرا لأن هذا اللون من الأدب لم يكن معروفا من قبل ، كما أنه يتيح للكاتب مس المشاكل الاجتماعية بشفافية تامة .

وتعد مرحلة الخمسينيات البداية الحقيقية لكتابة القصة القصيرة ، وقد أفسحت صحف الخمسينيات مجالا لنشر بعض القصص القصيرة والتي بدأت في شكل مقوماتها الصحيحة .

في فترة الخمسينيات بدأ علي سيار محاولاته الأولى لكتابة القصة القصيرة ، إلا أن زخم تأليفه القصة زاد بوضوح في عقد الستينيات . وعندما أصدر في عام ١٩٦٩م مجلة (صدى الأسبوع) أخذ ينشر بين الفينة والأخرى بعض قصصه القصيرة مستخدما أسلوبا لغويا ساخرا من أجل إصلاح مسارات خاطئة .

وتعد مجموعة القصص القصيرة التي ألفها في الستينيات وقامت بطبعها ونشرها دار الغد في عام ١٩٧٦م في كتاب بعنوان (السيد) من بين أهم نتاجه في مجال القصة القصيرة . وقد حاول توفير مقومات وعناصر القصة المطلوبة في جميع قصصه دون استثناء ، مستخدما لغة سهلة وواضحة يستفيد منها القارئ العادي والقارئ المثقف

امتاز علي سيار باستخدامه المنهج التحليلي في كتابته القصة الواقعية القصيرة ، مستفيدا من خياله الواسع وقدرته على ربط عناصر القصة بعضها ببعض . وساعده كثيرا ارتباطه بالمشاكل التي يعاني منها المجتمع ، مسخرا قلمه في كتابة قصص تحاول علاج تلك المشاكل ، ومبنيا مدى المعاناة التي يعاني منها المواطن في واقع حياته المعيشية

وتبين قصة (السلالم) التي نشرت في كتابه (السيد) وهي من بين ثمان قصص قصيرة ، مدى تركيزه على المشاكل التي يعاني منها أبناء مجتمعه ، محاولا تبصير المسئول بأهمية احترام شعور الآخرين والعمل على حل المشاكل بقدر الإمكان .

بدأ قصته بفقرتين على درجة كبيرة من الأهمية ، جاعلا من هاتين الفقرتين مدخلا يثير استغراب القارئ ويشجعه على المضي في قراءة القصة لمعرفة نهايتها فقال :

« ليست المرة الأولى التي اصعد فيها هذه السلالم . . قبل هذه المرة صعدتها تسع مرات . . وهاأنذا أصعدها للمرة العاشرة . . وأصل إلى الدور الأول . . . رجلي تنتقل من درجة إلى درجة . . في رأسي أيضا سلالم من الذكريات أقفزها واحدة واحدة . .



أنا الآن رجل بلا شغل . . عاطل عن العمل . . . عضلاتي المفتولة لم تقنع أصحاب الورش بتشغيلي في ورشهم . . أصحاب الدكاكين ينفرون مني لان لي مثل هذه العضلات . . . واحد منهم قال لي وأنا أقف أمامه في رجاء ذليل بأن يشغلني في دكانه : أنت تصلح مصارعا لا بائعا في دكان . . . حاول في قصته هذه أن يبين أن بطل القصة مفتول العضلات ويحمل الشهادة الثانوية يحاول العثور على عمل حتى وظيفة فراش . وكانت الشهادة الثانوية في عقد الستينيات تعد من الشهادات العالية التي يجب أن يكرم صاحبها بوظيفة لائقة ومناسبة . وقد اضطرته الظروف إلى أن يطلب وظيفة صبي في أحد المنازل ، فكان الرد : أي صبي هذا بمثل هذه الشوارب وهذه السواعد . وفي هذا تعبير ساخر لطرح مشكلة اجتماعية .

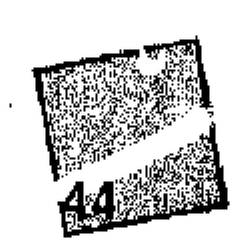
أراد أن يشير في قصته إلى الروتين القاتل المستخدم من قبل المسئولين ، فذكر في قصته العديد من المرات التي يذهب فيها بطل القصة إلى رئيس قسم شئون الموظفين يترجاه في خشوع وإذلال بأن يوظفه . . وكان جواب المسئول (راجعني بعد عشرة أيام) . ويعود إليه بعد عشرة أيام قضاها في بناء أحلامه قاطعا الشوارع وراكبا السلالم المتعددة إلى أن انهارت قواه ، لكنه كان يحلم بوظيفة تنشله من واقعه المر .

يدخل على المسئول وإذا به يقرأ جريدة ولا يعره اهتماما ، مما جعل بطل القصة يقوم بحركات كي يلفت نظر المسئول الذي يتجاهله من خلال تحركه في المكتب ثم من خلال تنحنحه وبعد دقيقتين أزاح الجريدة عن وجهه وقال : أوراقك لم تنته بعد . . مر علي بعد أسبوعين .

حاول علي سيار أن يبين بوضوح أن على المسئول قضاء وقته في خدمة مجتمعه ليكسب مرتبه عن طريق الحلال وليس عن طريق تضييع الوقت وإذلال الآخرين . كم وضح مدى تفاقم مشكلة ذلك الشاب الذي بدأ في بيع حاجاته مثل ساعته وبعض ملابسه وكتبه المدرسية كي يعيش .

وفي نهاية القصة يدخل الشاب على مسئول التوظيف ليراجعه وفق وعده . وعبر دقات الطبول . . وعبر عواصف اليأس . . وعبر طوفان الانسحاق والضياع . . وصله صوته : غدا يمكنك أن تستلم عملك . فشعر بأنه اصبح الآن انسانا له كيانه ويستطيع أن يعيش .





ثانيا : نظم الشعر

نظم الشعر في صباه ، ولا يزال ينظم الشعر بين الفينة والأخرى ، إلا أنه يحتفظ لنفسه وفي درجه الخاص بما ينظمه من شعر . وقد سمح لنفسه أن يبرز بعض قصصه القصيرة ويزيل عنها غبار الزمن بطبعها في كتابه (السيد) في عام ١٩٧٦م ، أما قصائده فلا تزال حبيسة درجة تتطلع إلى اليوم الذي يأذن لها بالانطلاق لتنشر في ديوان يختار عنوانه بنفسه .

امتاز شعره بصدق العاطفة وقوة التعبير ، وتبدو رائحة التجديد في شعره ملموسة ، وهو إلى جانب ذلك مرهف الحس سريع البديهة . ومما يبرهن على ذلك تأثره بقصيدة للشاعر الكبير عبدالرحمن المعاودة التي نشرها في مجلة (صوت البحرين) بعددها الثامن من السنة الأولى الصادر في شعبان ١٣٧٠هـ بعنوان (حنين) حيث تضمنت أبيات القصيدة حنينه إلى العودة للوطن حيث الأهل والأصدقاء والأحبة وتربة الوطن .

وتمثل العشرة الأبيات الأولى من القصيدة إحساسه القوي ومشاعره العميقة تجاه وطنه ، فيقول :

هو الماء لكن في لهاتـــي صـــاب … فهل لي إلى البحرين بعـد إيـاب ؟
سلام عليها ما استطاب بنا النوى … وما غـرنا من ذا الـزمان سراب
فيا موطنا لـو أستطيع فـديتـه … بروحي ولو عـندي عـليه عتـاب
ذرعت بـلاد الله شرقا ومغربا … فما طـاب لـي إلا إليـه مـآب
أحبك رغـم الحادثـات فـانه … يـلام الفتى فـي صده ويـعاب
طريح فـراش اثقل الهم قـلبه … فيا ليت حولي من ثـراك تـراب
إذا لاح مـن نحو المحرق بـأرق … حننت واضناني جـوى وعـذاب
وذكـرني قـوما علي أعـزة … مدى الدهر ما عنهم هوى ومناب
هنالك أرباع الطفولـة والصبا … وأهـل كـرام حولها وصحـاب
فيأمن يرويني بعذب عـيونـها … فـقد ظمأت نفسي وعز شـراب





تأثر علي سيار بما جاء في قصيدة المعاودة من معنى ، فنظم في الحال قصيدة بعنوان (رجع الصدى) نشرت في مجلة (صوت البحرين) العدد ١٢ من السنة الأولى الصادر في ذي الحجة ١٣٧٠ هـ ضمنها إحساسه تجاه غربة المعاودة ، طالبا منه أن يصبر على محنته هذه ، موجها أصابع الاتهام إلى السلطة الاستعمارية التي جنت على هذا الشاعر الفذ ، فيقول :

أيها الشاعر الحزين رعـــاك ... اللـــه في وحشة الوحـــيد الغريب
آدنا أن نـــراك تحـيا كئيـــبا ... للـــرزايا وللضــــني والخطـــوب
مذ ترسلت تعصر النفس شوقا ... وحنـينا وتنتشـــي بـالـوجـــيب

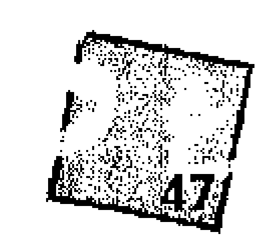
في رقيق مـــن الشعور نـــدي ... ورقـــيق مـــــن العتاب كئيب
صغت آهاتها حـديثا شجـــيا ... يتنـــزى بحيـــرة المستريـــب
فتفلت تطلـــب العيش حـــرا ... وبعينيك ومـــضة مـــن لهـــيب
ثـــم غادرتها .. حزينا وحيدا ... تسرع الخطـو في الفراغ الــرهيب

أيها الشاعر الغـــريب تجلـــد ... إن تألمت فـــي شعاب الـــدروب
فغـــدا يفضح الصباح الألاعـــ ... ـــيب ويصحو الضمير ملء القلـــوب
وغدا تهدر الحقيقة كالإعصار ... فـــي عـــالم الصباح القـــريـــب
وغدا تستوي اللذائذ والترهات ... فـــي رجعة القـــوى الغضـــوب
يـــــوم يسعى إلى الحياة فتيا ... يزحم الأرض هـــــازئا بالخطوب
يوم تفنى ضراعة الضعف فينا ... ويلـــف الجـــناة صمت الغـــروب
يوم نصحو وفـــي الحنايا ذئاب ... تـــرعش الإفك بالسلاح الـــرهيب
يقظـــة فانتفاضة فـــوثـــوب ... ثـــم فجـــر يشع بعـــد الوثـــوب

إيه يا شاعـــر الشباب سلامـــا ... مـــن شباب في ساحـــنا أو شـــيب
واغفر اليوم أن ترى الماء صابا ... ذاك يوم أو بعـــض يـــوم عصيب
وترقب غـــداة ينذر في الأفـــ ... ـــق صراع مـــن أنيات الغيوب
يلهـب الحس والشعـــور ويبني ... شـــرعة الحق في كـــفاح الشعوب







ثالثا : بأقلام عارفيه

أ.د محمد جابر الأنصاري

كمال الذيب

عقيل سوار

إبراهيم بشمي



الصحفي عندما يكون قاصا دراسة في مجموعة (السيد)

بقلم : أ د. محمد جابر الأنصاري

تقدمة وإيضاح:

تابعت النتاج الأدبي والفكري للمبدعين في البحرين لسنوات عدة . وبمناسبة تكريم أحد رواد الصحافة البحرينية ، وهو الأستاذ علي سيار ، يسرني إعادة نشر هذه الدراسة النقدية بعنوان (الصحفي عندما يكون قاصا) التي نشرت في مجلة (الدوحة) الثقافية الشهرية وقت صدور مجموعته القصصية المشار إليها بعنوان « السيد « منتصف السبعينيات من القرن العشرين .

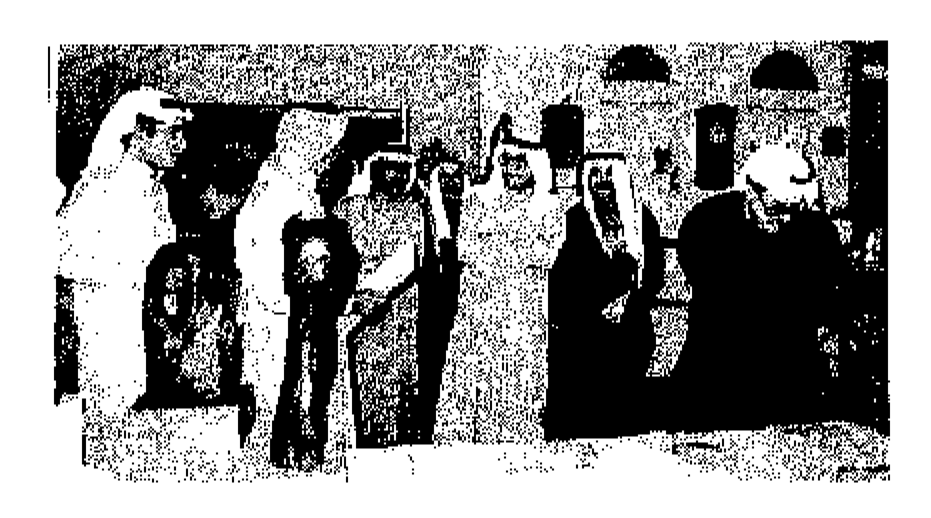
إن الفن القصصي والإيحاءات النفسية والاجتماعية التي تضمنتها هذه المجموعة تدل على تنوع جوانب الموهبة الإبداعية للأستاذ علي سيار والتي لم تنحصر في الكتابة الصحفية ، بل كانت هذه الكتابة أحد روافدها الهامة .

وسوف تصدر هذه الدراسة أيضا ضمن مجموعة كتاباتي النقدية في أدب البحرين والخليج والتي أعدها للصدور في كتاب واحد بعنوان (ثقافة لم يصنعها النفط).

مع التحية والتهنئة لهذا الرائد البحريني المتميز ، مع التقدير والشكر للقائمين بهذا التكريم وبإصدار هذا الكتاب وأخص بالذكر الدكتور منصور سرحان الذي أرخ ويؤرخ لثقافتنا الوطنية في البحرين بدقة الباحث وإخلاص المواطن .

يبدأ قصصه في حالات عديدة من نهايتها ... نهايتها الدراماتيكية الصارخة قصة (المعركة) تبدأ هكذا (بوسعود كذاب .. بوسعود كذاب .. سفينتي لم تغرق .. أنها راسية في عرض البحر تنتظرني هناك ..) .. ثلاثون سنة ظل يقولها دون أن يكل لسانه (وهو مقيم في مستشفي الأمراض العقلية) .. أمس فقط سكت صوته .. بعد أن قالها للمرة الأخيرة .. لقد مات بو محمد وهو يحاول أن يقنع الناس بأن سفينته لم تغرق .. وإن بوسعود كذاب ..) ثم يعود لسرد القصة من أولها .

وأقصوصة « في يدي جماجم « يستهلها بهذا المطلع : « أنا لست مجنونا .. وأقسم لكم بالله العظيم على ذلك .. لست مجنونا رغم وجودي في مستشفي الأمراض العقلية .. لقد جرجروني إلى هنا وأنا أكثر ما أكون عقلا واتزانا ... ولكن لماذا أبدأ القصة من نهايتها ؟



وبالتكنيك القصصي ذاته تبدأ قصة « السيد « . . . في هذا اليوم سأروي لكم قصتي وأنا تابع في ركن مظلم رطب من أركان الزنزانة رقم ١٤٧ من السجن الذي يجثم على أطراف المدينة اللامعة . . المدينة التي تحتفلون فيها هذا اليوم بعيد الأم . . . ولكن لماذا أبدأ القصة من آخرها ؟ ذات يوم . . . (. . الخ . وينطبق ذلك أيضا على أقصوصة) سأطردك يا عبدالسلام « التي تبدأ من مشهد النهاية .

واقعية . . وواقعية

وكما نرى فإنها نهايات محزنة . . الجنون أو السجن . . مما يعطي الانطباع لاول وهلة أن الكاتب يستوحي أجواء المبالغة الرومانسية على خطى المنفلوطي وجبران . ولكن سيدهش أدباؤنا الواقعيون الشباب في الخليج إذا قلنا أن علي سيار في أقاصيصه هذه واقعي بالمعنى الفني الدقيق للواقعية أكثر مما يتصورون . . وأن ريشته في حالات متعددة ابرع من ريشهم من حيث التقاطها ورسمها للتفاصيل الحياتية ضمن عمليات البناء القصصي والسرد والحبك . . أما هذه النهايات الصارخة فلا تميز عن أجواء الأقاصيص ، ويبدو أن الكاتب لجأ إليها على طريقة تكنيك « الفلاش باك « أي الابتداء بلقطة النهاية – تشويقا للقارئ وجذبا لأنفاسه – ثم العودة إلى إضاءة الخلفيات عبر دهاليز الذاكرة ، وهي طريقة شاعت لفترة في الفن السينمائي أتحفتنا عدسة الكاميرا السينمائية بلقطات كثيرة ، مشوقة ولاهثة ومخيفة لنهايات من هذا القبيل .

ولكنا إذا مررنا بهذه المقدمات أو بالأحرى النهايات التسويقية ذات النكهة الصحفية – التي يصيب بعضها ويخفق البعض الآخر من الناحية القصصية الفنية – وانتقلنا إلى داخلية العمل القصصي ذاته نجد أن الكاتب يتمتع بموهبة « واقعية « متطورة في الوصف والتطوير ونقل الصراع النفسي . . والحقيقة أن « الواقعية « أصبحت في الفترة الأخيرة كلمة مبتذلة لكثرة الإفراط في استخدامها من قبل خصومها ودعاتها على حد سواء . والواقعية – حتى في إطارها النقدي والعلمي – تعني أشياء كثيرة ومدارس متعددة . وما يهمنا في هذا السياق التمييز بين نوعين رئيسيين منها : الواقعية « الفنية « التي نشأت على يد عملاق القصة القصيرة الكاتب الفرنسي « جي دي موباسان « الذي أعطى فن القصة القصيرة ملامحه « الكلاسيكية « النموذجية في الأدب العالمي ، وجعل من القصة القصيرة وحدة فنية متماسكة دقيقة في تركيبها الحدثي وتفصيلياتها الجزئية المنتقاة بأحكام ودقة ضمن خطة مرسومة بعناية من البداية للنهاية ، وتطوير متتابع المراحل ، مترابط الحلقات . وهذه الواقعية الفنية تختار من الحياة أي موضوع ينصهر في تجربة الكاتب دون « التزام « بقضايا اجتماعية محددة مما حدا بنقاد الواقعية الاجتماعية الملتزمة إلى وصمها بأنها « واقعية برجوازية ، بخلاف واقعيتهم هم – الواقعية الاجتماعية – التي لا تكتفي بالتزام الأسلوب الفني الواقعي لتصوير الحياة ، بل تختار منها قضايا اجتماعية بعينها تعالجها وتركز عليها طبعاً للمرحلة التاريخية التي يمر بها المجتمع – وهذه الواقعية الاجتماعية يعتبر من أبرز أعلامها « مكسيم جوركي « الذي تعد قصته « الام « خير نموذج لها .

همـــوم دون إلحـــاح

وقد انتقل إلى الأدب تأثير المدرسة « الموباسانية « في العشرينات على يد « محمود تيمور « ثم تطورت مع الزمن على يد « توفيق يوسف عواد « صاحب « الرغيف « و « الصبي الأعرج « – وفي الحقيقة يمكن اعتبار قصص « عواد « نقطة التقاء الواقعيتين الفنية والاجتماعية . غير أن أبرز تأثير للواقعية الاجتماعية جاء إلى أدبنا العربي عن طريق نقد الناقد اللبناني « عمر فاخوري صاحب « أديب إلى السوق» ، بمطلع الأربعينيات ، أما خير نموذج لها في القصة فبرواية « الأرض « لعبدالرحمن الشرقاوي الصادرة عام ١٩٥٤م .

ويبدو أن أقاصيص علي سيار تندرج تحت مظلة أدب محمود تيمور أي أنها أكثر التصاقا بمدرسة الواقعية الفنية ، المدرسة الموباسانية ، وليس من الضروري أن يكون قد تأثر بتيمور مباشرة ، بل ربما انتقل إليه التأثير من مدرسة القصة المصرية السائدة في العالم العربي خلال الفترات الأدبية السابقة . وقولنا انه متأثر بالواقعية الفنية لا يعني خلو أدبه من هموم تأتي مندرجة ضمن عمله الفني ولا تأخذ طابع الإلحاح أو « القصة المحورية « كما في أقاصيص محمد عبدالملك مثلا .

معركـــة بحـــر

في قصة « المعركة « – وهي قصة صراع بين اثنين من نواخذة البحر أي الربابنة المشتغلين بصيد اللؤلؤ حيث يستقل بومحمد للعثور على لؤلؤة كبيرة – دانة – في حجم اللؤلؤة التي حصل غريمه بوسعود عليها وتحدى الجميع علنا أن يحصلوا على واحدة مثلها – في هذه القصة تلتقي بلقطات هي من صميم التصوير الواقعي كهذا التصوير لمشهد السفينة والرجال والبحار في لحظات تكون العقدة القصصية التي ستلقي بالربان بو محمد في مهلكة المنافسة المجنونة : « سفينة مدهونة صقيلة .. خطوطها الملونة التي تزحف على حافة البحر رسمت بعناية فائقة . . ورائحة الخشب المتشبع بماء البحر داخل السفينة تنفذ إلى خياشيم البحارة . . . والبحر هادئ راكد كعقل رجل لم يستيقظ بعد . . الأفق البعيد هو الخط الوهمي الوحيد الذي تصطدم به العين خارج حدود السفينة . والقلوع البيضاء ساكنة هي الأخرى فوق سواريها . . كل شيء يبدو راكدا خارج السفينة وداخلها . . الشيء الوحيد الذي يتحرك هو عقل بو محمد .

كيف أحصل على اللؤلؤة الكبيرة البراقة ؟ كيف أتحدى بوسعود الذي وقف وسط الناس قبل أيام في السوق ليعلن أن أحدا لا يمكن أن يصطاد جوهرة في حجم الجوهرة التي أصطادها . . نعم . . كيف أحصل على ذلك ؟

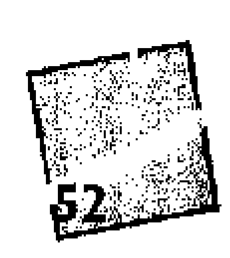


(السفينة تسير . . وادعة صامتة . . والبحارة يستلقون بظهورهم العارية على الألواح اللزجة . . وفي ذهن كل منهم حلم صغير بالعودة إلى الوطن « واحتضان الأحبة من جديد . . والاستحمام بالماء العذب . بومحمد هو الوحيد الذي لا يفكر في العودة إلى الوطن ولا في احتضان الأحبة . . تلك أشياء لم تعد تثيره . . بوسعود فقط هو الذي يثيره . . .)

ومع تدرج القصة تمر علينا مشاهد « وثائقية « عن تقاليد الغوص وعاداته لا بطريقة الحشو والإضافات الزائدة – فذلك عيب فني لا يقع فيه كاتبنا – وانما ضمن سياق النمو العضوي للقصة .

(وللبحر قانون . . فأن تسبق سفينتك سفينة شخص آخر في البحر ليس شيئا عاديا يمر به الناس دون أن ينير رموش عيونهم . . انه حدث كبير في تاريخ الربابنة والسفن . . لا ينتهي الحديث عنه بين البحارة . . سواء كانوا على أمواج البحر . . أم في الحلقات الصغيرة التي يؤلفونها بعد عودتهم إلى اليابسة. . .) .

هذا تقليد ثابت من تقاليد الغوص ، واليك تقليدا آخر : « سفينة بوسعود تدخل الميناء . . على ساريتها علم أسود . . دليل وجود شخص ميت على ظهرها . . الناس في البلد يتكومون على الساحل . . من يكون سيئ الحظ هذا . . « إلى غير ذلك من تقاليد الغوص وعاداته التي نمر بها في القصة « المعركة « وهي تتدرج حديثا ونفسيا باتجاه نهايتها المرسومة . وعندما يبدأ السباق بين السفينتين بل بين الربانين ينقل إلينا الكاتب حركية الصراع من خلال هذه الصورة المتوترة التي هي على نقيض الصورة الأولى للسفينة في سيرها الهادئ في البداية : « الرجال الذين كانوا يستقلون بظهورهم العارية السمراء على ألواح السفينة لدغتهم نار التحدي التي شبت بين الاثنين . . فقاموا من أماكنهم يشدون الحبال . سواعدهم السمراء هي الشيء الوحيد الذي يعول عليه في مناسبة كهذه . . حناجرهم تطلق الأهازيج الحماسية يثيرون بها حتى ذرات الماء الساكن . . أرجلهم ثابتة فوق الألواح اللزجة . . وبومحمد – الربان – في مكانه عيونه كعيون صقر يوشك أن ينقض على فريسته « .



موسيقى خارجيه وداخليه

وتمثل حركة الأمواج في القصة نوعا من الموسيقى الخلفية التي تتصاعد من الهدوء إلى الصخب مع تدرج الأحداث إلى نهايتها المجنونة المفجعة لحظة غرق سفينة بومحمد : ففي البداية ثمة صمت مطبق « البحر هادئ راكد كعقل رجل لم يستيقظ بعد « ثم بعد ارتفاع حدة السباق البحري قليلا : « يبدو من بعيد شيء جديد . . عيون بومحمد لا تخطئ أبدا . . صفحة البحر هناك تتغير . . إنها ليست كالمرأة التي تنزلق عليها العين . « وبعد برهة من تطوير الحدث : « الريح الخفيفة تشتد . . الأمواج الصغيرة الراقصة تحت السفينتين تتحول إلى سياط . . « وبعدها : الأمواج الخفيفة الراقصة تحولت إلى تلال صغيرة . . ولكنها كافية لتثير الرعب في البحارة . . « ومع اقتراب النهاية : « الأمواج التي تشبه التلال تحولت إلى شيء شبيه بالجبال . . . والبحر يبدو هيجانه وكأنه محمول على ظهور العفاريت . . . « .

هكذا « التطوير « في حركة البحر كانت ترافقه زيادة في عناد الربان على مواصلة الإبحار حتى النهاية مهما كلف الأمر ، وهكذا كانت هناك حركتان متناميتان ومتزامنتان : الحركة الخارجية للبحر والعاصفة والسفينة والحركة الداخلية لنفسية الربان العنيد الذي يريد تحدي غريمه الربان الآخر ، وقد مس نمو الحالتين في مراحل متتابعة متصاعدة – بشكل طبيعي وواقعي ومقنع – حتى وصل الذروة . أن هذه القدرة على « تطوير « الحدث بصبر ودأب من المميزات البارزة في أقاصيص علي سيار ، غير أن المحير في بعض هذه الأقاصيص هو أن هذا التطوير الواقعي المتدرج ينتهي بنهاية « مليودرامية» مبالغ فيها . فهذا الربان بعد حادثة السباق المخفق يعيش مجنونا طوالى ثلاثين عاما ثم يموت . ولكنا نعرف أن الربابنة الخليجيين من عنصر أصلب عودا وأنهم يتجاوزون أزمات أكبر من هذه – وربما أقام الكاتب أقصوصته هذه على أساس حكاية شعبية متداولة عن تاريخ الغوص . ولكن حتى لو جن أحد الربابنة بالفعل – تاريخيا – فلابد أن تكون ثمة أسباب أخرى غير واردة في قصة « المعركة « ، هذه القصة الجيدة التي لم تضعف فيها غير نهايتها المفتعلة .

كان غـير ملتـزم ؟

وثمة فارق يجدر تسجيله : وهو أن الأدباء الشباب اليوم عندما يكتبون عن حياة البحر والغوص يركزون على كدح البحارة الفقراء وشقائهم ، أما علي سيار __ وهو أديب مخضرم بين جيلين __ فقد اهتم في هذه الأقصوصة التي كتبها قبل اكثر من عشر سنوات بالجانب السيكولوجي لفرد واحد هو الربان ومدى تأثير عامل التحدي على شخصيته وتصرفه ومصيره . وهذا هو الفارق بين الواقعية الاجتماعية والواقعية الفنية الكلاسيكية : الأولى تهتم بظاهرة الصراع الاجتماعي ككل وترصد حركته حتى من خلال نماذجها الفردية ، أما الثانية __ التي سار على نهجها كاتبنا __ فتهتم بالظواهر الانسانيه الفردية في حد ذاتها كذلك التحدي المفجع بين ربان





وربان ، أو حسب تعبير الكاتب «. . . واهتزازات معركة التحدي ترسم خيالاتها وخيوطها في رأس الرجلين المتنافسين « . . ولو قرأ أحد دعاة الواقعية الاجتماعية الملتزمة هذه العبارة لقال : أنظروا . . إن المعركة تدور بخيالاتها في راس رجلين ، لا على أرضية الواقع الاجتماعي بحقائقها بين جماعتين ولكن هل كان علي سيار بعيدا حقا عن الوقع الاجتماعي ؟ ليس صحيحا . ففي الأقصوصتين التاليتين « عشرة دنانير « و « سأطردك يا عبد السلام « نجد معالجة فنية ونفسية على قدر من النضج لنماذج بشرية اجتماعية ضمن الكادر الإداري البيروقراطي . إن البيروقراطية كما هو معلوم داء وبيل في المجتمعات النامية لان هذه المجتمعات تعتمد على أجهزتها الاداريه في كل شئ تقريبا . فان صلحت هذه الأجهزة صلح الحال ، والا فهي البيروقراطية بأدواتها المعروفة . في « حكاية عشرة دنانير « نرى إغراء « الرشوة « يتهدد أخلاقية موظف شريف . ولكنه يقاومه بعنف ينتصر عليه . ولكنا نكتشف إن ذلك الإغراء قد تسلل إلى موظف آخر ورفعه إلى مستوى رفيع . وان هذا الموظف المرتشي « ينصح « أصحاب المعاملات بتقديم الرشوة لزميله الذي لم يتلوث بعد . . والأقصوصة مكثفة ، سريعة النبض ، تحتفل بحركة شعورية داخلية تمثل انفعال الموظف الشريف عندما يقدم إليه أحدهم مظروفا يحوي عشرة دنانير أمام عيون المراجعين . . . « هذه العيون تحولت إلى جمر يلسعني . .كل عين جمرة . . والعيون كثيرة . . والجمر الأحمر يلسعني حتى أكاد اصرخ وصوتي مخنوق كأنما وضع على شفتي قفل ثقيل . . ولكن الصراخ يعلو . . بداخلي فقط . . وافتح فمي أتلمس نسمة هواء اقذف بها إلى رئتي . . هؤلاء الناس . . هذه العيون . . هؤلاء لا يمكنهم أن يكونوا تماثيل من الشمع لكي لا يدركوا معنى العشرة دنانير . . وهذه العيون لا يمكن أن تكون عيونا من زجاج لكي لا ترى . . أنا فقط وحدي الذي تحول إلى تمثال من الشمع بعين زجاجية . . أنا وحدي فقط الضائع وسط العيون الساخرة . . وسط الجمر الأحمر . . أنا العريان . . لاشيء يستر جسمي . . والرجل الواقف في الطابور هو الآخر لا يمكن أن يكون تمثلا من الشمع (يقصد الرجل الذي دفع له الرشوة) . . ابتسامته اللزجة مازالت تتدلى فوق شفتيه . . عيناه هو الآخر جمر احمر . . «

وفي النهاية ينادي دافع الرشوة ويبهدله أمام الحضور ولكن هذا الرجل يتعلل بأن زميله الموظف الكبير هو الذي نصحه بدفع المبلغ له . . وسرعان ما نكتشف الشخصية الحقيقية فذلك « الموظف الكبير « : . . كان زميلي في العمل . . التحق بالوزارة بعدي بأسبوعين . . كان يجلس هنا قريبا مني . . كـنا نسميه ((ذو اللحية المتوفة)) . . ولكنه لم يزعل قط من التسمية . . كان من النوع الذي لا يغضبه ولا يثيره شي . . بل كان يتردد إلينا اكثر واكثر كلما اشتدت سخريتنا من لحيته المتوفة . . ولكن شيئاً واحدا كان يثيرنا نحن فيه . . ذلك هو محاولته التطلع إلى أوراقنا والتفتيش في أدراجنا . . ثم . . ثم قفز في سلم الوظيفة فأصبح من الناس (اللي فوق) . . مكتب ضخم . . وأبهة . . وكراسي خضراء وحمراء . . ولوحة كبيرة يعلقها على باب مكتبه . . لقد اصبح رئيس قسم . . انه الآن فوق . . فوق قمة جبل أسمه النفاق . . أيا كان الأمر فإن هذه الأقصوصة تنتهي بانتصار الفضيلة ، حيث يبقى الموظف الشريف على شرفه والمهم إن هذا الحل ((المثالي)) جاء مقنعا نتيجة الحبك النفسي والفني المرفق الذي قام عليه بناء االاقصوصة .



غير أن الواقع يفرض ذاته في الأقصوصة التالية ، فقد عاش موظفان صديقان عيشة الجد والكفاف ردحا من الزمن، وكان يقوم بينهما رابط معنوي وثيق ، غير أن أحدهما يرتقي إلى منصب وكيل وزارة لقرابته ، وفي يوم من الأيام يتحتم عليه-إداريا- أن يوقع قرار فصل صديقه القديم لعدم الحاجة إليه . . فهل يوقعه أم لا؟ . . عبد السلام . . ماذا يعني عبد السلام بالنسبة لي؟ مجرد موظف بسيط . . يقبض راتبه آخر كل شهر دون أن أعرف أنا متى قبضه وكيف سينفقه . . هكذا يظن الناس . . كل الناس . . أن عبدالسلام في نظري شيء آخر . . انه سطور من تاريخي . . ترى أية عدالة في أن أوقع أنا بالذات قرار فصل عبدالسلام من الوزارة . . « .

وتتطور القصة على خط انصراع بين الانتماء القديم والانتماء الجديد : الانتماء القديم ، بإنسانيته البسيطة والقائمة على الصداقة والوفاء و « العيش والملح « ، والانتماء الجديد المصلحي المرتبط بالوظيفة والتزاماتها ، هي ظاهرة قديمة متجددة تتكرر أمامنا في مجتمعاتنا ، هل يبتعد الإنسان عن محيطه القديم وأصدقائه وقناعاته ومبادئه عندما يصبح موظفا كبيرا ؟ لماذا ؟ ماذا يبقى من قيمته كإنسان ؟ ألا يمكن أن يكون ذلك الموظف الكبير مع احتفاظه بانتمائه الإنساني الأصيل ؟ الملاحظ أن هذا الجمع في عصرنا لم يعد ممكنا في أغلب الأحوال ، للأسف ، ويصور لنا الكاتب هذه الأزمة الأخلاقية واضعا يده على الجرح معترفا في نهاية المطاف بما هو واقع : وأية سخرية في أن أوقع أنا بالذات على هذه الورقة اللعينة ؟ ماذا يقول عبدالسلام عني عندما يتسلم خطاب الاستغناء وفي ذيله توقيع صديق يخون العيش والملح ؟ لن أوقع هذه الورقة . . أبدا لن أوقع . . لن أوقع . . إنها جريمة أن أسلب عبدالسلام حق الحياة . . . ومع ذلك فأنا لا املك إلا أن أطرد عبدالسلام . . لا أملك غير ذلك» هكذا تنتهي القصة . هل يستطيع أحد أن يعترض على واقعية النهاية ؟ اليس هذا ما يحدث لانساننا عندما يصعد السلم ؟

أزمة القرار الأخلاقي

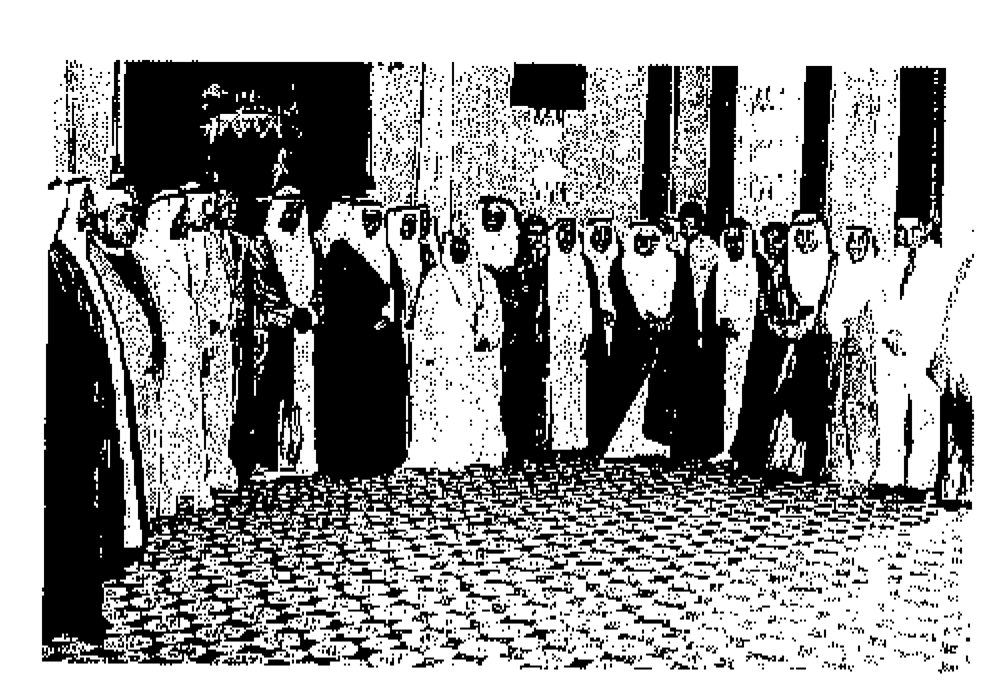
والطريف في هذه الأقاصيص أن الكاتب يضعنا في خضم أزمة اتخاذ « القرار الأخلاقي « من الداخل . . أنه يفتح لنا باب المشاركة – بما يعطيه من تفاصيل وجدانية حية – في عملية المعاناة النفسية والصراع بحيث يصل بنا إلى النهاية الحتمية للقرار – سلبا أو إيجابيا – ونحن على قناعة بالنتيجة من خلال انفعالنا بالحديث وهذه الخاصية تكاد تختفي من أدبنا الجديد بسبب غلبة الوعظية الأخلاقية أو السياسية من ناحية وسيطرة الواقعية الوصفية « الفوتوغرافية» للظواهر الخارجية من ناحية أخرى . إن علي سيار « ملتزم « بالناحية الأخلاقية ومدلولاتها الاجتماعية ولكن من خلال بناء فني سيكولوجي محكم في أغلب الأحوال . وهذا ما ينقذ أقاصيصه من الوعظية أو رفع الشعارات . وأفضل نموذج قدمه لنا الكاتب على ذلك قصة « السيد « التي وضع عنوانها على المجموعة القصصية كلها وكأنه يوحي لقارئه بأن هذه القصة أحسن ما عنده . وهو إيحاء صحيح وتتلخص القصة في اضطرار صبي صغير إلى العمل خادما بسبب وقوع الطلاق بين أبيه وأمه بقرار جائر من الأب الذي أهمل صغيره وتركه هو وأمه لمصيرهما دون إعالة . وبعد أن يكبر الصبي يفصل من الخدمة في المنزل الذي التحق



به ويضطر للبحث عن عمل آخر مدة طويلة إلى أن تسلمته عصابة تهريب وتدخله في نطاق عملها السري بالتدريج حتى يصبح عضوا مهما فيها . ويتدخل العامل الأخلاقي في النهاية ليضع هذا الإنسان وهو في الخامسة والعشرين من عمره في السجن . وهذا التخليص لا يقول شيئا عن القصة من الناحية الفنية وربما أمكنني نقل ما فيها من روح للقارئ بالإشارة إلى أن الشاب السجين يتذكر قصته كلها في يوم عيد الأم وهو يطل من الزنزانة على المدينة المتلألئة المحتفلة بالعيد ثم تتوالى الأحداث بشكل شائق تنسى فيها العيد ومعناه إلى أن نعود في النهاية مع الشاب في سجنه ، وعندما نكتشف بأنفسنا الرسالة التي قصدها الكاتب : إذا كنتم تريدون أن تحتفلوا بعيد لأم في مجتمعاتكم فافعلوا شيئا لإيقاف الطلاق الذي لا مبرر له أخلاقيا ودينيا فهذا أفضل تكريم للام ولمستقبل الأسرة . . ولكن هذا المعنى لا يلقيه علينا الكاتب كواعظ ، بل يدعه ينمو داخل نفوسنا شيئا فشيئا من خلال تطوير القصة بشكل عفوي حتى يضيء في نفوسنا في النهاية وكأننا نحن الذين اكتشفناه ، بعد أن ننشغل عنه طويلا بالتشويق الحدثي مع تتابع نبضات الحبكة القصصية. أما أجمل مقطع في القصة فهو هذا المشهد المؤثر الذي يصور تحطم مستقبل أسرة صغيرة بألم إنساني ودون مواعظ : « يوم سبت أسود دخل أبي إلى البيت وكان الوقت ظهرا . . قال لامي في برود عجيب : اليوم يجب أن ينتهي كل شيء .

ولم أدرك ساعتها معنى لما يقوله أبي . فقد كنت آنذاك في العاشرة من عمري . . ولكنني نظرت في وجه أبي استنجد بها . لأول مرة أعرف معنى الألم في وجه أمي . . رأيت وجهها يتقلص . . وشفتيها ترفان ومناخيرها تهتز . ودمعة حبيسة تكاد أن تنطلق في مآقيها . . وشعرت أن عاصفة على وشك أن تهب . . عاصفة تختلف عن تلك العواصف التي كثيرا ما كانت تنتهي في حينها . . . أو بعد يومين . . أو أسبوعين على الأكثر . . وبشعوري الساذج الخائف ارتميت على صدر أمي وأنا أتشبث بها من شيء مجهول . . واحتضنتني في عنف كأنما هي الأخرى تتعلق بي خوفا من شيء مهم مجهول . . وفي غمرة أحاسيس الصغيرة الخائفة سمعت أمي تقول لأبي في صوت ضعيف مهزوز : ولكن هذا الصغير . . و . . .

ولم تستطيع أن تكمل . . فلقد شرقت بدموعها . . ومرت ساعات قليلة ثم وجدت نفسي أمسك بيد أمي وأخرج معها من البيت . . وكانت تلك آخر مرة أرى فيها أبي . بلا شك أن هذه السطور تجسد ببراعة مشهدا متكررا في حياة البشرية وبتعاطف شعوري يلمس أوتار النفس الداخلية .



ولكن لكل جواد كبوة . ولقد كبا القلم بكاتبنا مرتين في أقصوصة « في يد جماجم ، وأقصوصة شمس لا تشرق كل يوم « الأقصوصة الأولى من بدايتها إلى نهايتها تركيب « ميلودرامي « رومانسي ينصح بالمبالغة واصطناع جو الغرابة والمأساة . وكان الكاتب استهوته صورة طبيب شاب يصبح مجنونا بعد تخرجه وعودته إلى وطنه ، فيضع في يده جماجم وعظاما ويتركه هائما بين الناس في الطرقات حتى تكتفه الشرطة ، أما سبب الكارثة فهو إخفاقه في علاج أمه الذي انتظرته ليعود ويعالجها وكانت تكرر دائما « غدا تعود إلى طبيبا « . ونلاحظ أن هذا الشاب انقطع عن الاتصال بأسرته سبع سنين حتى بالرسائل وهذا غير معقول .



كما أن أسرته أصبحت أثناء دراسته من سكنت القصور ومع هذا لم تعالج الأم . والغريب أن الطبيب الشاب يعالج أمه بعد فوات الأوان مع أن مرضها ليس من اختصاصه وهذا ما لا يفعله أي طبيب تحت أية ظروف . ولكن يبدو أن النهاية الميلودرامية في ذهن الكاتب – والمقررة سلفا – هي التي سببت كل تلك الهفوات القصصية . وإذا كانت النهاية هي التي فرضت نفسها على هذه الأقصوصة ، فيبدو أن العنوان المثير « شمس لا تشرق كل يوم « قد فرض معناه على الأقصوصة التالية ، فهذا العنوان هو أجمل ما في القصة ، أما القصة ذاتها فلا تحقق التوازن بين بنائها الفني غير المترابط وبين المغزى الوعظي الذي تنتهي إليه . وليس هناك من علاقة ضرورية بين رجل يطلق امرأة قبيحة فرضت عليه وبين توبته عن طريق الخطيئة بعد اكتشافه أن صاحبته القديمة في هذا الدرب قد تزوجت وعادت إلى رشدها . أن هاتين الأقصوصتين هما أضعف أقاصيص المجموعة الثمان تبقى « السلالم « وهي عرض بارع لمشاعر إنسان عاطل عن عمل يحمل شهادة ويفني عمره بحثا عن وظيفة إلى أن يجدها . وان كانت نهايتها المضغوطة ليست متناسبة تماما مع « التعبئة النفسية « التي تسبقها أثناء عملية البحث .



وفي الأقصوصة الأخيرة» المأزق « يضع الكاتب يده على خصلة غريبة موجودة في مجتمعاتنا وهي أن الناس يتهجمون على الفرد ما دام طيبا أو خائفا أو مترددا ، ولكن عندما يستقوي ويتنمر ويقرر تحديهم ، فان المسألة تختلف : « التحدي . . لا شيء يعادل التحدي . . التحدي هو قدرة الذي يجب أن يتسلح به . . هذا عالم مفتون بالقوة . . « وفعلا يتغير الوضع بنظرات احتقار متحدية صلبة ثابتة لا أكثر . غير أن نهاية القصة لا تخلو بعض الشيء من « تكبير « كاريكاتوري لتأثير التحدي . .

الخاصية الصحفيـــة

وتذكر للكاتب ، كصفة عامة لأسلوب ، قدرته على تكثيف مشهد كامل أو معنى واسع في صورة موجزة مكثفة تغني عن تفصيلات كثيرة . أن هذه خاصية مهمة لدى أي كاتب فني ، لأن أية عبارات زائدة أو ليست في محلها تماما تخل بالبناء الأدبي وتضعف من تأثيره ووقعه . تأمل هذه التعبيرات مثلا : « الأهازيج الحماسية يثيرون بها حتى ذرات الماء الساكن . . « و « السفينتان تسيران في خفة كراقصتي بالية « و « الأمواج تصطدم بالسفينة ككلاب يطحنها الجوع « و « انه الآن فوق قمة جبل اسمه النفاق « و « كل شيء فيها تغير . . أصبحت امرأة تثير حتى الملائكة « و « إنها جاهلة . . أجهل من البقرة التي نشرب حليبها كل يوم . . شرسة أشرس من كلب الجيران « و « أشعر بكل ذرة في جسمي تتواثب كفقاعات المياه الغازية « وهذا الرجل الذي يدب بكرشه الأبله كجاموسة صيد بين المكاتب « . . . الخ .

أن هذا الأسلوب التصويري المكثف الدقيق الذي يصطاد اللمحات ويكبرها كما يفعل رسام الكاريكاتير هو « المنطقة المشتركة « بين الكتابة القصصية والكتابة الصحفية .

ولقد عرفنا الأستاذ علي سيار صحفيا شائق الكلمة بارع العرض قادرا على الإثارة منذ أن أصدر صحيفة « القافلة « بالبحرين في الخمسينيات ، مرورا بعمله الصحفي في الكويت « وصولا إلى صحيفته الحالية الممتعة « صدى الأسبوع « وإذا عرف السبب بطل العجب : أن شخصية القاص تختفي تحت رداء الصحفي لتجعل من مادته الصحفية شيئا حافلا بذلك التشويق والإثارة والامتاع . والحقيقة أن الترافق بين شخصية القاص وشخصية الصحفي ملحوظ لدى عدد من كتابنا الصحفيين العرب الناجحين مثل المرحوم عبدالقادر المازني واحسان عبدالقدوس ، وسليم اللوزي ، وغادة السمان . ولكن أي خيار كان الأفضل : بقاؤهم في حقل القصة أو احترافهم الصحافة ؟ ليس من الضروري التضحية بخيار في سبيل الآخر ولكن المهم عودتهم لحقل القصة بين وقت وآخر كلما ضاق العمل الصحفي بخيالهم الروائي ، وهذا ما نتمنى أن يفعله علي سيار بعد أن كشف لنا عن هذه الموهبة القصصية . .

قيمـــة فنيـــة

واعتقد أن ناشر كتابه لم يكن منصفا عندما قال عنه « . . أن القيمة التاريخية لهذه المجموعة هي التي ألحت علينا ضرورة إصدارها بعد مرور أحد عشر عاما على كتابتها « مما يوحي بأنها لا تتمتع بقيمة ذاتية من الفن تضعها في مستوى المجموعات الجديدة التي يصدرها الشباب . هذا إيحاء – أن صح – خاطئ تماما . أن المجموعة تتمتع في نظري بقيمة فنية باقية في الأدب الخليجي وليست مجرد « خانة تملأ تاريخ القصة القصيرة . وهي أفضل بلا جدال من بعض المجموعات السريالية والواقعية الفوتوغرافية . . لقد وفر لنا علي سيار محطة استراحة بمجموعته التي تمثل عودة لاصول الفن بعد تلك الدوامة من الخلخلة الفنية والفكرية في بعض تلك المجموعات . ويجب أن نحذر من الانطباع المضلل بأن كل شيء جديد يأتي من الشباب هو طليعي وإبداعي دائما . ولعل الكتاب الخليجيين من جيل علي سيار يعودون إلى أوراقهم القديمة التي بعثرها أو حجبها زمن التجارب الصعبة التي مر بها ذلك الجيل ليعطوا بعض الدروس في الفن – وفي التواضع أيضا – للجيل الشاب الذي يتصور قسم منه انه « اختراع البارود « بما كتب من إشعار وأقاصيص « . . فكيانه لن يتأصل إلا بعودته للتجارب التي سبقته .

من هنا الأهمية الخاصة لصدور مجموعة « السيد « إنها تقيم جسرا من التعارف والتعاطف ووصل ما انقطع بين جيلين في أدب الخليج . . أو ما نأمله .



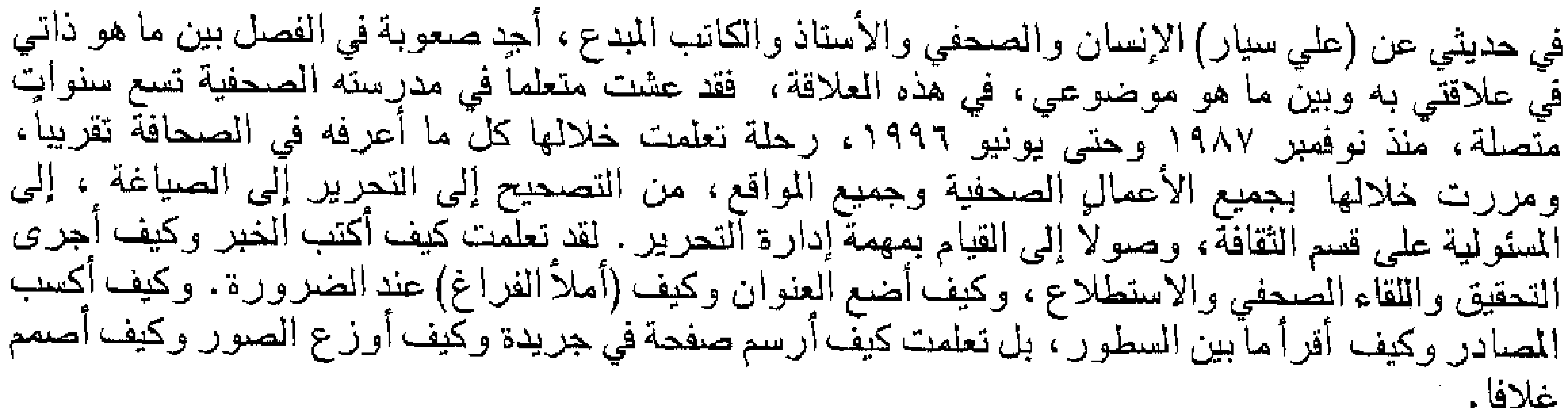




(صدى الأسبوع) البيت الذي هجره أهله

قصة صعود وأفول الصحافة الأسبوعية في البحرين

بقلم: كمال الذيب



في حديثي عن (علي سيار) الإنسان والصحفي والأستاذ والكاتب المبدع، أجد صعوبة في الفصل بين ما هو ذاتي في علاقتي به وبين ما هو موضوعي، في هذه العلاقة، فقد عشت متعلماً في مدرسته الصحفية تسع سنوات متصلة، منذ نوفمبر ١٩٨٧ وحتى يونيو ١٩٩٦، رحلة تعلمت خلالها كل ما أعرفه في الصحافة تقريباً، ومررت خلالها بجميع الأعمال الصحفية وجميع المواقع، من التصحيح إلى التحرير إلى الصياغة، إلى المسئولية على قسم الثقافة، وصولاً إلى القيام بمهمة إدارة التحرير. لقد تعلمت كيف أكتب الخبر وكيف أجرى التحقيق واللقاء الصحفي والاستطلاع، وكيف أضع العنوان وكيف (أملأ الفراغ) عند الضرورة. وكيف أكسب المصادر وكيف أقرأ ما بين السطور، بل تعلمت كيف أرسم صفحة في جريدة وكيف أوزع الصور وكيف أصمم غلافا.

في مدرسة صدى الأسبوع، وعلى يدي علي سيار تعلمت كيف أواجه (الرقيب) المباشر وغير المباشر وكيف أهادنه وكيف أتحايل عليه و كيف أتفاوض معه للوصول إلى حلول وسطى.

ألم أقل، منذ البداية أنني وبين يديه تعلمت كل شيء في الصحافة (تقريباً).

وأقول تقريباً، لأني عندما دخلت صدى الأسبوع ذات مساء من ١٤ نوفمبر ١٩٨٧ كانت كل عدتي وجوازي للمرور إلى عالم الصحافة قصاصات لمقالات ذات طابع فكري وثقافي كتبتها ونشرتها خلال الفترة من ١٩٧٧ و ١٩٨٧ في صحيفتي الرأي والصباح التونسيتين. في ذلك المساء قابلت علي سيار في غرفة التحرير الوحيدة في مكتب صدى الأسبوع في شارع المعارض، بحضور كل من الصحفي المصري محمد علي إبراهيم والصحفي البحريني حافظ عبد الغفار الذي كان آنذاك قائما بمهمة إدارة التحرير، والمخرج الفني الصديق عبد العزيز عبد الحميد والمصحح اللغوي الأستاذ مصطفى إبراهيم الذي كان موجها للغة العربية آنذاك بإدارة المناهج بوزارة التربية والتعليم، والفراش الهندي (وليام) والمحاسب الهندي المتجهم جداً والقاسي جداً (بابو) كانت تلك هي صدى الأسبوع في تلك اللحظة، وأقول في تلك اللحظة لأن تلك المجلة بإدارة علي سيار، وبحكم محدودية الإمكانيات المتاحة، كانت محطة ترانزيت صحفية:

معبرا أو جسرا للعابرين إلى عالم الصحافة، ولذلك لم يكن هنالك من يطيل المقام، حيث يعاد باستمرار تشكيل فريق العمل بالزيادة والتقليص وكذلك تغيير المسؤوليات، كم أسهمت مزاجية علي سيار في عدم استقرار العديد من الصحفيين... يومها - يوم دخلت قاعة التحرير أول مرة- كنت في غاية الحرج والتردد والتهيّب. أحمل في يدي بعض القراطيس الصحفية. قال: تفضل؟



قلت: أريد مقابلة رئيس التحرير.
قال: أنا هو. ماذا تريد؟
قلت: جئت استجابة للإعلان المنشور في مجلتكم (نحن نريد صحفيين).
قال: وماذا عندك؟ هل أنت صحفي؟
قلت: نعم ولا. نعم لأنني ظللت ومازلت من عشاق الكتابة، إلا أنني لم أتفرغ يوماً للعمل الصحفي بالمعنى المهني، فأنا باختصار صحفي هاو.
دفعت إليه بالقراطيس (والتي كانت تتضمن عددا من الموضوعات التي كنت كتبتها في عدد من الصحف آنذاك،) وحاولت عرضها عليه وسط صمت وترقب الحاضرين.
نحى علي سيار القراطيس بحركة لا مبالية، ودفع إلي برزمة من أوراق الكتابة البيضاء، قائلاً: ما هو فن الكتابة الذي تجيده؟
لم أفهم وقتها ماذا كان يريد، من وراء السؤال، فقلت: ماذا تقصد؟
قال: أقصد هل تستطيع الآن وفوراً أن تكتب وأنت جالس أمامي تحليلاً سياسيا على سبيل المثال؟
قلت: أحاول ذلك.
قال: من أين أنت قادم؟ وقد علم من لكنتي بأنني من خارج الإقليم الخليجي.
قلت: من تونس.
قال دون تردد: في الأسبوع الماضي تمت تنحية (الرئيس بورقيبة) من السلطة، فهل تستطيع أن تكتب تحليلاً عن هذا التحول السياسي؟
وهكذا وجدتني أنهمك في الكتابة وسط صمت الجميع، وخلال أربعين دقيقة كنت قد أنهيت كتابة التحليل في ست صفحات ودفعت به إليه.
وقبل أن يقرأه، أعاده إلي قائلاً: (صغ عنوان صحفيا مناسباً للمقالة).
قرأ علي سيار المقالة باهتمام، وأجرى عليها تعديلات سريعة بالأحمر. ثم دفع بها إلى (حافظ عبد الغفار) قائلا: انشر هذا المقال في العدد القادم.
ونشر المقال بالفعل، وكان بالعنوان والصورة على الغلاف.
باختصار وبدون مقدمات أو أوراق اعتماد قلت متسائلا بلهفة: وماذا بعد؟
قال دون تردد: لقد تم توظيفك للتو، ومن هذه اللحظة، سوف تبدأ بكتابة التحليل السياسي في المجلة.
لم أسأل وقتها عن المكافأة لأنني كنت مشغولاً بأن يكون لي موقع في هذه المكان، أتنفس من خلاله، وفي نهاية الشهر اكتشفت أن المكافأة كانت ثمانين دينارا (تطورت فيما بعد لتصبح ١٥٠ دينارا) فكنت سعيداً بها على ضآلتها، ورغم تعليقات الزملاء آنذاك بان المكافأة تافهة (وما تسوى) بالقياس إلى حجم العمل الذي كان يقدم؟
ومن تلك اللحظة القدرية لم أغادر صدى الأسبوع إلا بعد تسع سنوات متصلة، لم أكن أظن لحظتها أنني بقادر على الاستمرار كل تلك المدة الطويلة.





لقد استمرت الرحلة في صدى الأسبوع من يومها وحتى يونيو ١٩٩٦، عندما واجهت المجلة أول صعوبة وتحولت إلى تابلويد، وقتها خرجت طوعا وأنا في غاية الحزن والأسى والانكسار، لأنني علمت أنها النهاية بسبب الصعوبات المادية وتراكم الديون، ولكن مع ذلك استمرت صلتي بعلي سيار دون انقطاع وظللت أزوره في مكتبه كل يوم خميس، استنطق ذاكرته وقد خططت بالفعل لإعداد كتاب عن سيرة علي سيار الصحفية، وأمتلك اليوم أكثر من ٢٠ شريطا مسجلا ومئات الأوراق والوثائق التي تؤرخ لتاريخ وتجربة هذا الرجل، إلى أن فاجأني الدكتور منصور سرحان – الذي يتميز عنا جميعاً بقدرته الفائقة على التأليف والإنجاز والمبادرة– بأنه يعد كتاباً عن علي سيار بأقلام معاصريه، الذي يجمع فيه شهادات الذين عاصروا سيار أو عملوا معه.

قد أكون أقل هؤلاء خبرة، ولكنني كنت أطولهم عمرا في صدى الأسبوع فما من أحد بقي فيها تسع سنوات متواصلة دون انقطاع على حد علمي، فالتسع سنوات التي قضيتها معه يومياً تقريباً، جعلتني ربما من أكثر العازمين بحقيقة تجربة هذا الرجل القامة الكبيرة في الصحافة والأكثر (حرفنه) في ميادينها.

كان كل الذي عرفتهم في صدى الأسبوع وكل الذين عرفوني من خلالها من الذين مروا بها مرور الكرام أو استقروا بها حيناً من الدهر يستغربون استمراري في صدى الأسبوع طوال تلك السنين دون شكوى أو تذمر. خاصة مع ضعف المردود المادي.

وكنت أرد عليهم بأنني راض وسعيد بما كنت فيه. وربما ساعدني على الاستمرار في هذه المجلة ٣ أمور:

الأول: أنني كنت موظفاً بالتربية وكان دخل بسيط ولكنه ثابت يؤمن الحد الأدنى من حياة أسرتي، فلم تكفي الصحافة مورد الرزق الذي أقتات خلال تلك السنين هو ٣٠٠ دينار عندما تسلمت مسئولية التحرير في السنين الأخيرة بعد أن رحل الجميع من المجلة ولم يبق سواي مرابطاً مناضلاً لكي لا تتوقف هذه المجلة التي تقلصت صفحاتها ولكنها ظلت (صداعا) حقيقياً للعديد من المسؤولين والأجهزة الحكومية، كما كانت موقفاً عروبيا منحازا لقضايا الوطن العربي.

وكانت مقالة علي سيار الأسبوعية (أشياء من أشياء) لوحدها تؤمن استمرار القيمة الصحفية والسياسية للمجلة، وظل اسم الرجل لوحده (يقلق) لما فيه من جرأة، حتى أنني كنت أقول لعلي سيار عندما يتحدث عن حلمه المستمر في إعادة إحياء المجلة أو تحويلها إلى صحيفة أسبوعية بسم (صباح الخير) لماذا لا تسميها (الصريح)؟

الثاني: أن التجربة التي عشتها بصدى الأسبوع شكلت بالنسبة لي نوعاً من الانتماء والرابط الذاتي الذي من خلاله أتنفس.

الثالث: أن العلاقة بيني وبين علي سيار اتخذت بعدا (التحالف) أن صح التعبير، يقوم على أساس الوفاء للرجل بعد أن تخلى عنه الجميع أو (تخلى) هو عنهم خاصة بعد ظهور جريدة يومية جديدة هي (الأيام) التي هرب إليها جميع من تربى وتعلم في صدى الأسبوع، فأصبحت المجلة أشبه بالبيت الذي هجره أهله.

خلال تلك الرحلة والتي أزعم بأنني تخرجت بعدها مشبعاً بروح علي سيار الصحفية ولغته وأسلوبه، كدت في مناسبتين أن أتفرغ نهائياً لإدارة صدى الأسبوع، لولا الخوف من عدم الاستمرارية بسبب الظروف المالية الصعبة التي كنت على إطلاع عليها ولا يخفيها علي سيار، بل كان دائم الإشارة إليها في أحاديثه أو في كتاباته.

خلال تلك الرحلة صارع علي سيار صادقاً أمواج التغيير والتحولات التي مست الصحافة البحرينية على نحو

عميق، وانفض من حوله أغلب الذين علمهم في مدرسته، وانتشروا للبحث عن آفاق أخرى وأرزاق وفرص جديد للنماء المهني والمادي.
وظل علي سيار يصارع شبه وحيد في ساحة صدى الأسبوع التي كانت خلال عقد من الزمان تحاول أن تموت فلا تقوى على ذلك، بسبب المأزق المالي والإداري، وضخامة التحولات الكبرى التي شهدتها الصحافة، وبسبب عدم الرغبة – ربما في أن تنتشر وتتسع مدرسة علي سيار على المستوى الصحفي.

وطوال المدة التي عاشتها هذه المجلة، كنت أطرح على نفسي وباستمرار سؤالاً محورياً طالما ألح علي وهو لماذا تفشل هذه المجلة التي طالما أحببتها وأخلصت إليها، في الوقت الذي يمتلك فيه علي سيار كل مقومات النجاح الصحفي، وفي الوقت الذي تتملك فيه المجلة تاريخا حافلا بالإنجاز والنجاح؟ وكان الجواب يتردد بين الظروف الموضوعية وشخصية علي سيار:
– فعلى المستوى الموضوعي كان عصر الصحافة الأسبوعية في البحرين قد بدأ يجمع ألواحه أو كاد بعد بداية تعدد الصحف اليومية إذ لا يخفى أن جريدة الأضواء الأسبوعية كانت قد توقفت، وأن مجلة (المواقف) قد عانت ومازالت من التعثر والضعف الذي كأنه الموت، هذا بالإضافة إلى الصعوبات المالية في إدارة المجلة بدون امتلاك مطبعة، وتلك من أخطاء علي سيار القاتلة، حيث أن استمرار المجلة رغم الصعوبات كان سيكون ممكنا وأسهل في حالة وجود مطبعة تغطي الخسائر وتعوضها من خلال أنشطته التجارية المختلفة.
يضاف إلى ذلك العامل عدم توفق علي سيار من الناحية الإدارية في إدارة الصحفيين، فبقدر ما كان صحفياً متميزاً بل أستاذاً في الصحافة فإنه لم يكن قادراً على إدارة الناس بالشكل الصحيح، إذ كان مزاجيا وحاداً في بعض الأحيان، بالإضافة إلى أن الإمكانيات المحدودة للمجلة لم تكن لتغري أحداً بالبقاء، مع وجود المزيد من الفضاءات الإعلامية الجديدة التي تبحث عن الخبرات.

ولذلك كان جميع الذين عملوا مع علي سيار– وأنا منهم – يشهدون له بالأستاذية والحرفنة إلا أنهم في نفس الوقت يجمعون على أن إدارته للمجلة لم تكن بنفس مهارته المهنية في المجال الصحفي، فقد خسر الكثير من الصحفيين المتميزين والذين كان بالإمكان لو بقوا أن ينهضوا بمستوى المجلة.
ووسط عدم الاستقرار الإداري والمادي، وفرار الصحفيين بحثا عن ملاجئ أخرى أكثر قدرة على إيوائهم وتوفير الحد الأدنى من المطالب المادية، صمدت في المجلة تسع سنوات إلى جانب علي سيار كي لا تسقط صدى الأسبوع التي استوعبت أكثر من غيرها تجربة سيار الصحفية وتطبعت به وتطبع بها وعانقت باقتدار هموم الناس والمجتمع. لقد كان نجاح صدى الأسبوع في البداية عائداً إلى ما كان يسميه علي سيار وجود كتيبة من المغامرين الذين عملوا بها وأعطوها من فكرهم وإبداعهم، حيث كانت المجلة، ولأكثر من عقدين من الزمن تكاد تكون منفردة في جرأتها وعنادها ومعاركها إلا إنها لم تصمد طويلاً أمام المتغيرات والصعوبات حيث كانت خلال العقد الأخير من حياتها بالكاد تغطي نفقات إصدارها.
لقد فكر علي سيار أكثر من مرة خلال الفترة التي عشتها معه في المجلة في إيقافها إلا أنه في كل مرة يهم بذلك تسطع في الأفق بوارق من الأمل تزيده إحساساً بالثقة فيعاود الكرة مثل (سيزيف).



- صـدى الأسبـوع والنهاية المؤسفة

كان علي سيار في لقاءاتي به يتساءل دوما : هل تراني أخطأت طريقي عندما اخترت أن أكون صحفياً وصاحب مجلة؟ وكان الجواب يتراوح بين (نعم) و(لا). وهو يعتمد على اللحظة التي يكون فيها علي سيار راضيا على أداء المجلة أو تلك التي يكون فيها غير راض، فحين تكون (صدى الأسبوع) ساخنة بمواضيعها، عامرة بقرائها، غنية بإعلاناتها، كانت الإجابة: لا.. لم أخطئ الطريق. أما حين تكون (صدى الأسبوع) كالمركب الذي تكسرت سواريه وتمزقت أشرعته، فإن الجواب غالباً ما يكون نعم لقد أخطأت الطريق خاصة في ظل إغراءات البزنس.

وفي الخلاصة، وعندما أعود اليوم بالذاكرة إلى الوراء، فإنني سواء من خلال تجربتي المباشرة أو من خلال إطلاعي على تاريخ هذه المجلة أو من خلال لقاءاتي المتعددة مع علي سيار، أستطيع القول: لقد كانت (صدى الأسبوع) خلال مسيرتها أشبه بمحارب تزداد جراحه وآلامه كلما ازدادت المعارك سخونة، وازداد تكالب الظروف عليه، ومع ذلك بقيت على عنادها، تتحدى واقعها المرير فتسير خطوة إلى الأمام وخطوتين للوراء، تحاول ألا تختفي كما اختفت أخوات لها من قبل. ولكن ومن المحزن جدا أن ذلك الصمود انهار فسقطت صدى الأسبوع سقطة غريبة، وغير مفهومة عندما تم بيع هذه المجلة في صفقة محزنة كانت مقدمة لإعلان وفاتها بعد أن تم إصدارها بشكل مختلف لا ينسجم مع روح صدى الأسبوع الأم ولا مع تاريخها الصحفي. باع علي سيار صدى الأسبوع في صفقة (خاسرة) وغير مجدية، وبدل أن يعطيها (البيع)حياة جديدة، كان إعلانا رسميا عن وفاتها وانتهاء مرحلة زاخرة بالعطاء والعناء والتحدي، وبعدها تقلص علي سيار الذي كان يصول ويجول ويعلم ويقود إلى عمود في أخبار الخليج ، لقد تعب المحارب حين قرر أن يتوقف عن اللهاث وراء حلم شبيه بالسراب...

هذا المحارب الذي كان رأسماله قلم وحبر وورق.. ولعل من أخطائه أنه كان مثاليا حالما كأكثر أبناء جيله معتقدا بان القلم لوحده والإرادة لوحدها تكفي لإنشاء صحافة، لقد تحولت الصحافة مع الزمن إلى بزنس يحكمها منطق السوق والعرض والطلب والأهواء والتحالفات والمصالح والسياسة، ولكن علي سيار ظل يقود المجلة بعقلية مبدئية، وربما عندما أدرك هذه الحقيقة كانت الجرائد اليومية قد زحفت على الساحة الصحفية وهيمنت على سوق الإعلان (الشريان الرئيس لأي صحيفة تنشد الحياة)، وأصبحت صدى الأسبوع مجرد هامش صغير في الخارطة.





- وجــه آخر لعلي سيار

للكاتب الصحفي علي سيار أكثر من وجهٍ في مجال الكتابة، فهو رئيس تحرير وكاتب صحفي وشاعر.. وناقد بمعنى من المعاني، وقاص أيضاً.. وقلما تم الالتفات إلى هذا الجانب الأخير المتصل بكتابة القصة القصيرة، مع أن لعلي سيار تجارب متعددة في هذا المجال، وله مجموعة قصصية منشورة بعنوان (السيد) فضلاً عن العديد من القصص الساخرة التي نشرها في صدى الأسبوع تباعاً على مدار ٣ عقود من الزمان من أشهرها قصة (المرحوم).

تجربة علي سيار الصحفية عامة والقصصية خاصة، في منعرجاتها المختلفة ومعاركها الرابحة والخاسرة جديرة بالاهتمام والقراءة وجديرة بأن تلقى عليها الأضواء قبل أن تبهت ألوانها.

و خلال هذا لقاء جمعني ذات يوم بعلي سيار - القاص- اكتشفت باباً آخر أو وجهاً آخر نحو تلمس تجربته ككل.

قلت لعلي سيار مبتدئاً:

- قرأت لك (السيد) وعاصرت على مدار عقد من الزمان، أيام عملي معك في صدى الأسبوع نشرك لعدد من القصص من حين لآخر، تتميز بواقعية شديدة المرارة والسخرية، ومع أنها تجارب ذات قيمة حتى بالمعايير الفنية المدرسية، فانك أحجمت بعد (السيد) عن نشر مجموعة ثانية من أقاصيصك رغم ما فيها من إثارة وجمالية.. فكيف تفسر هذا الإحجام؟

- أنا في الأصل لست قاصاً وإن كنت أعشق الآداب بوجه عام رغم أن تكويني عملي وصناعي، وعملي ارتبط بالحسابات والعلوم.. ولكنني عشت في بيئة- سواء في البحرين أو في القاهرة- خلال الخمسينات تحفل بالأدب، وتعتبر الإطلاع عليه والاعتناء به ضرورة حتمية وجزءاً لا يتجزأ من تكوين الإنسان الثقافي والروحي، فقد كنت مع كثيرين من أبناء جيلي منغمساً في القراءة والكتابة.. كتابة الشعر وكتابة القصة وكتابة العمود الصحفي... وكتابة التحقيق والنقد... وكل شيء تقريباً حتى المسرح ارتبطت به وأنا طالب منذ أيام أستاذي الشاعر المرحوم عبد الرحمن المعاودة.

لقد كانت حكاية جيل وثقافة جيل منغمس في المعنى الموسوعي للمعرفة، الطبيب والمهندس والمحامي والمحاسب والمدرس والقاضي، جميعهم مرتبطون بالثقافة والأدب والفكر والفنون والشعر.

وقد تسنى لي أن أصدر صحيفتي (القافلة) ثم (الوطن) في الخمسينات، وكانت صوت البحرين تصدر في بداية الخمسينات، فاندفعت نحو الكتابة الأدبية، فكانت أول قصة نشرتها باسم (عبد الرحمن سيار) في (صوت البحرين)... وربما كان اللجوء إلى الأسماء المستعارة مرتبطاً بالحذر وعدم الثقة تماماً في أنني كنت أكتب قصة بالمعايير الفنية الأدبية.

وعندما درست في القاهرة أذكر بأنني كنت شديد الانغماس في قراءة إحسان عبد القدوس وعبد الحليم عبد الله وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ.. فوجدت أن القصة هي الوعاء الأمثل للتعبير عما يجيش في نفسي من معانٍ وأفكار وأحزان ورؤى ذات صلة بالبيئة التي عشت فيها.. وعندما عدت إلى البحرين نشرت عدداً من القصصٌ في القافلة في عام ١٩٥٤ بتوقيع (علي).



وقبل أن أجيبك عن سؤالك- يستطرد علي سيار- دعني أوضح لك بعض الجوانب المتصلة بهذه التجربة والحافة بها.. فأنا نشأت في البحرين وارتبطت ببيئتها على نحو عميق.. وكان والدي طواشاً وكنت شديد الارتباط بعالم البحر والغواصين، وكنت أتألم على نحو عظيم بالوضع المأساوي الذي كان يعيشه البحارة والغواصين تحديداً.. وأثارني الظلم والضيم.. وكنت حساساً للفوارق الطبقية والاجتماعية الفادحة وغير العادلة، فكتبت (السيد) في إطار هذه الروح.. والعجيب أنني كتبتها في الكويت، بعد أن أبعدت عن البحرين، واختمرت في ذهني تلك الصور المأساوية.. كتبتها أيضاً متأثراً بأجواء الوظيفة في البحرين، حيث عملت موظفاً في بنك وعملت صحفياً أيضاً.. وكانت هناك أحاديث غريبة تحدث في عالم الوظيفة فالتقطت بعضها وكتبت عنها. ثم بعد عودتي إلى البحرين وإصدار صدى الأسبوع في ١٩٦٩م، كتبت القصة القصيرة بشكل مستمر لعدة سنوات، باسمي أحياناً وتحت أسماء مستعارة في أحيان أخرى مثل (ابن حزم) و (ديك الجن) و (خالج العمر) و (محرقاوي)، وبالعودة إلى سؤالك، فإنني لم أشأ أن انشر تلك الأقاصيص بعد (السيد) لأنني لم أشعر بأنني قصاص محترف.. كانت كتابة القصة متنفساً ألجأ إليه في بعض الأحيان. والعمل الصحفي منعني من مواصلة كتابة القصة.. فقد أخذ وقتي كله، وكانت صدى الأسبوع في حالة انتعاش ومد عظيم وكان علي أن أعطيها كل جهدي ووقتي على حساب الأدب.

– طيب أستاذ علي.. لقد أشرت إلى أن القصة قد كانت متنفساً في بعض الأحيان فلم أفهم من ذلك أن القصة قد تصبح امتداداً للمقال بمعنى آخر.. عندما يتعذر التعبير عن الأمور بشكل مباشر؟

– هذا تقدير صحيح.. وهذا هو الذي كان يحدث بالفعل.. عندما لا نستطيع أن نقول الأشياء كما هي يمكن أن نقولها عبر الترميز، ولكن ليس هذا فحسب، فالقصة أحياناً تكون استجابة عميقة لنداء داخلي دفين.

– هل أفهم من ذلك أن الصحفي هو الذي قفز على ظهر الأديب ووضع له حداً؟
– هذا أيضاً صحيح... ويعود ذلك إلى أن المرحلة التي عشت فيها كانت تحتاج إلى الصحفي أكثر من احتياجها إلى الأديب.. ولذلك كانت القصة امتداداً للصحافة في أكثر الأحيان.. لقد كتبت الشعر أيضاً ونشرت منه الكثير... فقد كتبت أول قصيدة وعمري ١٢ سنة عام ١٩٣٨م بعنوان (غازي العراق) ومطلعها:



وكان عبدالرحمن المعاودة يكتب في نهاية كل سنة دراسية مسرحية شعرية، وكنت أحفظها بالكامل، وقد ساعدني ذلك على نظم الكثير من القصائد التي نشرتها باسم مستعار أو لم أنشرها أصلاً. . وكان يمكن أن أكون شاعراً، وكان يمكن ناقداً أيضاً، فقد كتبت في النقد. . ولكن الصحافة أخذتني إلى المعارك الوطنية والقومية.

- العودة إلى القصة، يلاحظ أن قصصك في أغلبها تتجه إلى النقد الاجتماعي، وبعضها فقط يرتبط بصور إنسانية وعاطفية كصور الأصدقاء القدامى. . فهل هذا التوجه يمثل موقفاً فنياً واجتماعياً؟

- أنا لم أكن أكتب من الخيال. كنت أكتب من واقع عالم أعيش فيه و أتنفسه، وهذا الواقع اجتماعي بالضرورة، ولذلك كتبت في هذا المعنى بالذات قصصاً نقدية ساخرة، لأنني مؤمن بأن للأدب رسالة اجتماعية، ومازلت. . . ولكن عندما تقدمت بي السن أصبحت ألجأ إلى الذاكرة وأستحضر الصور القديمة.

- وهل تنوي جمع هذه القصص ونشرها في كتاب قبل أن تبهت الألوان؟

- لا أدري. . . لكنني أقول بأنني أمتلك عدداً من القصص بل وحتى الرواية والسيرة والمسرحية والقصائد لم تنشر. . . وكنت دائماً أفكر في النشر ثم أتوقف. . . فحياتي كلها مشروعات مؤجلة أو معلقة.

- أستاذ علي لمن تقرأ من كتاب القصة في البحرين؟ ومن يشدك أسلوبه أكثر من غيره؟

- أقرأ لثلاثة كتاب أحبهم جميعاً وتعجبني قصصهم لأنهم يمثلون الروح الواقعية والبيئة البحرينية، والأسلوب الجميل وهم عبد القادر عقيل وعبد الله خليفة ومحمد عبد الملك. . ومازلت إلى اليوم أحب القراءة (موت صاحب العربة) وأجدها مجموعة قصصية عميقة وشديدة الإنسانية والتعبير عن روح البلد.





ذنـــوب علـــي سيـــار !

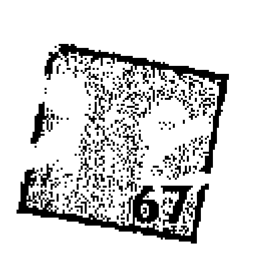
بقلم : عقيل سوار

من المؤكد أن سوف تختلف لدرجة التناقض أية رواية من روايات العاملين في صحافتنا ، يحاول صاحبها تدوين شخصية علي سيار تدوينا منصفا ، فلا أكاد أذكر صحافيا عمل تحت إمرة علي سيار إلا إختلف معه وانتهى الأمر بينهما بالإنفصال إنفصالا غير ودي ، وأزعم لنفسي من هذا الوجه درجة من التميز ، إذ إختلف وانفصلت عن علي سيار مرتين ، وليس مرة واحدة ، ولكل من المرتين دلالة ومعنى خاص في أي تدوين لسيرة علي سيار ، وهذا يؤهلني لقراءة ، ثم تدوين أكثر إختلافا ، كي لا أقول أكثر « دقة موضوعية « من غيري ، تاركا أمر تقدير هذه الدقة الموضوعية ، لتأويل كل منا .

المرة الأولى في منتصف السبعينيات أي في ذروة تميز صدى الأسبوع وصعودها ، والمرة الثانية في أوائل الثمانينات أي في حضيض عثرتها ، وذلك حين استدعاني علي لاستنهاض صدى الأسبوع من تلك عثرتها ، بعد محاولات طويلة مع صنوف من الأخوة المصرين والسودانيين الذين تعاقبوا على إدارة صدى الأسبوع منذ عثرتها الأولى منتصف السبعينيات ، حين تركناها متعاضدين (الزميل علي صالح وحافظ الشيخ الذي كان يكتب وما يزال طالبا في الجامعة الأمريكية ببيروت وأنا) فقد ظن علي سيار بعد تلك التجارب أن مجد صدى الأسبوع لا يمكن أن ينقذ إلا باستعادة الوجوه القديمة التي تبادلت مع صدى الأسبوع صناعة مجد الحقبة الصحافية السبعينية ، ولم يكن أحد من بقية الزملاء متوفرا وكنت الوحيد المتعطل عن العمل لقرار مزاجي أتخذه المرحوم طارق المؤيد ، وزير الإعلام الأسبق ، الذي لم يكمن الرجوع له فيمن يشغل أو لا يشعل على أجندا علي سيار .

مع ما في المرتين من تباين تفرضه الفروق الطبيعية بين حالتي الارتقاء والتدني ، ومع ما يفصل بينهما زمنيا وما تقتضيه سنة الوقت ، فقد تم الانفصال الثاني لنفس الأسباب المزاجية التي حكمت الاختلاف بيننا في المرة الأولى ، وأحسب أنها نفس الأسباب التي حكمت كل خلافات وخصومات علي سيار مع الآخرين ، واحسب أخيرا انه لو قدر أن يمتد بنا العمر لتجربة مهنية ثالثة ، لما جاءت النتائج مختلفة !

ومع ذلك فإنني خلال فترتي الانقطاع ، ولا أزال أجد في علي سيار ملاذا ، أحن إليه وأتوق لرفقته على الصعيدين الشخصي والمهني ، ولطالما وجدت في شخصيته الصحافية ، وفي سيرته المهنية الغنية ما يغذي حاجتي في تمثل أنموذج الصحافي والوطني الذي لا تندلق مزاجيته الخاصة ، خلف حدود الثوابت الصحافية والوطنية ، وقد كان لعلي سيار في هذا الصدد ، شخصية ثابتة لم تتبدل ، إلا في حدود المقتضيات الطبيعية للعمر ، واختلاف بيئة العمل السياسي ، وما يقتضيه هذا الاختلاف من تغير في صيغة الخطاب ، ولو كان لي في هذا



الصدد أن اختصر شخصية علي سيار اختصارا دالا مفيدا ، لقلت انه لم يكن قط مع السلطة أو ضدها بخفة أو تفريط ، وهو لم يكن قط مع الطائفة أو ضدها بخفة أو تفريط .
إزاء هذا الرسم الأولي لشخصية علي سيار ، ليس غريبا أن أتباين مع بعض الذين عاصروا وعملوا مع علي سيار إذ لا بد لمن يتمثل النموذج الصحافي البحريني تمثلا مختلفا عن تمثلي لـه ، أن يكون تقييمه لعلي سيار منسجما مع تمثله ، فأصحاب النزعات الطائفية لن تبارح ذاكرتهم نبرة علي سيار الحادة في كتاباته المتعلقة بالسلوك والظواهر الاجتماعية ، القابلة للتأويل طائفيا أو سياسيا ، مثل قضية الإفراط في التكاثر غير المنظم ، أو الإسراف في إقامة الشعائر الدينية ، كاستخدام مكبرات الصوت لرفع الآذان بطريقة غير رشيدة وغير هذا مما لازال علي يقول به بالرغم من تدينه الآخذ الزيادة في المراحل المتقدمة من عمره ، كما لا بد أتباين مع الذين يخلطون بين السياسي والصحافي فهؤلاء سوف لن يعجبهم أنموذج علي سيار الحريص على عدم الخلط بين الموقف الأخلاقي الموتور بما ينشأ عليه الإنسان من حب للناس وللعدل والمساواة والخير وما إلى ذلك مما نختصره عادة اختصارا غير دقيق في تعبير (الموقف الوطني) ، وبين الموقف السياسي الموتور ، بنوازع الإختلافات اليومية والنوازع الحزبية أو الطائفية أو الطبقية .

إزاء هذه القراءة السريعة لشخص علي سيار ، كان طبيعيا أن يظهر التباين ، في الندوة التي أسهمت فيها مع الزميلين علي صالح وإبراهيم بشمي وهما من أصحاب السير الصحافية الأكثر التصاقا بصدى الأسبوع ، على هامش تكريم الأستاذ علي سيار في مسرح الجزيرة ، حيث اتفقنا على أمور واختلفنا على أخرى في تحليلنا أو (روايتنا) لسيرة علي سيار التي هي بالضرورية سيرة صدى الأسبوع وموقعها في تاريخ صحافتنا البحرينية ، ومما اتفقنا عليه ، أنه لو كان في هذه الدولة احتراما للصحافة ، لما جاء تكريم علي سيار متأخرا بهذه الدرجة ومن خارج البحرين لكن مثل أي رواية تاريخية ، كان لكل منا فيها أسبابه ، العاطفية أيضا ، إضافة للأسباب الموضوعية ، وقد ذكرت في كلمة نشرتها في كتيب أصدره ملتقى مسرح الجزيرة الثقافي في هذه المناسبة ، وأعدت تأكيده في تلك الندوة ، أن مصدر علاقتي العاطفية الخاصة والمتينة بعلي سيار ، هي أنني طالما حسبته في مقام أبي ، الذي فقدته صدفة في نفس الوقت الذي التقيت فيه بعلي سيار عام (٧٠ / ٧١) وتعاملت معه بهذه الروح ، ولا أزال ، لكن خارج هذه العلاقة أو ربما بتأثير غير مباشر منها ، طالما نظرت لعلي سيار موضوعيا ، على أنه إنموذج للإنسان البحريني الشريف النقي النادر الوجود خارج جيل آباؤنا بما يحمله ذلك الجيل من قيم تعلمها بالفطرة ، وحاول علي سيار أن يعلمنا إياها .

في الجانب الموضوعي ، لم يعلمني علي سيار كيف أكتب مقالا ، لكنه علمني ، بإحساسه الفني والجمالي المرهف وبمثابرته على قراءة وتنقيح كل ما يكتب في صدى الأسبوع من الغلاف إلى الغلاف بعد صدور العدد وليس قبله أبدا ، كيف أكون صحافيا ، عبر احترام اللغة ، وعبر الحرص على خصوصيتي الفنية ، حرصي على موقفي الأخلاقي وشرفي ، وقد أتاح لي هذا أن أرفد موقفي الإنساني في لعبة الخير والشر الذي كان يكوك مواقفي في تلك المرحلة المبكرة ، بأداة أعمق واكثر إنسانية مما علمتني إياه مشكورة مدرسة السياسة الحزبية



(حركة القوميين العرب) ، التي مازلت أدين لها بمنة تثقيف أبجديات هذه العلاقة ، لكنها منة لم تمنعني أن أغادرها (الحركة) مبكرا في وقت ما من مشارف السبعينيات مستعيدا عبر العمل الصحافي ، إنسانيتي وشخصيتي وذاتي ، التي عززها علي سيار بما علمني من معاني الاستقلالية والوسطية ، وحسنة تقديم الكلام الذي نستحي منه ، وجسارة إرتكاب الأخطاء.
لقد أرجعت في كل مرة تحدثت فيها عن علي سيار ، وأثره في وفي صدى الأسبوع إلى كون علي سيار قد تركنا نخطئ ، وتحمل معنا وأحيانا عنا تبعات تلك الأخطاء ، وكذلك فعل مع غيري من الزملاء بفطرة لا افتعال فيها ، انعكست علينا جميعا بدرجات متفاوتة ، وارتسمت في شخصية صدى الأسبوع ذاتها ، التي تحولت بسبب جسارة علي سيار وحيوته الإنسانية إلى شخصية حية قائمة بذاتها ، ثمنها كل منا في تلك الندوة بطريقته الخاصة ، لكنه تثمين لم يخرج على كون صدى الأسبوع مجلة ميزها عن غيرها ، أنها كانت شخصية تزأر خارج السرب ! ويسبب زئيرها صداعا لكثيرين سماهم الأستاذ علي سيار في تلك الندوة بأسمائهم ووضع على رأسهم المرحوم طارق المؤيد ، وزير الإعلام الأسبق ، مختصرا بهذا شكل علاقة صدى الأسبوع مع السلطة التي ينتمي لها وزير الإعلام وينفذ سياستها الإعلامية !

علي سيار لم يكن ملاكا ، فالملائكة لا يخطئون وعلي سيار إنسان خطاء ، لكن ارتكاب الأخطاء بالنسبة لـه ، ليس تمرينا مجانيا ، بل هو مثابرة لبحث مستمر عن الأفضل، والدليل على ذلك انه لا يكل أسبوعيا عن تثمين صدى الأسبوع حرفا حرفا ، تثمين أكثر ميلا للإنتقاد والبحث في الأخطاء .

إن أخطاء علي سيار وذنوبه الصغيرة والكبيرة على حد سواء ، هي بالضبط ما يجعله مدرسة ، علمنا فيها كيف نكون خطائين ، بما يعينه هذا من جسارة تسمية الأشياء بأسمائها ، وفي هذا الصدد أحسب إنني لم أكن ذنب علي سيار الوحيد ، فكل الصحافيين المخضرمين في البحرين ، وفي بعض صحف مصر ، هم ذنوب علي سيار ، وبحساب أعداد هؤلاء ومكانتهم في الصحف سنجد أن علي سيار أكبر من أي تكريم يمكن أن يأتي من الخارج ، ومن هذا يبدو تكريم علي سيار الذي بدأته محافظة المحرق ، ومسرح الجزيرة ، وتتوجه في هذا الكتاب (اللجنة الأهلية لتكريم رواد الفكر والإبداع بمملكة البحرين) هذا التكريم إذ يأتي في غياب مادي ومعنوي ملفت للدولة وللجمعيات السياسية ، وللصحافة البحرينية بمؤسساتها برمزيتها السياسية والطائفية ، هذا الغياب لا يفضح فقط ، تقصير هؤلاء حيال علي سيار ومدرسته ، لكنه يفضح بشكل فاجع ، تدني وتباين مستوى الاهتمام بذاكرة البحرين ، ومتعلقاتها ، والانشغال عن هذا ، بحوارية الملائكة والشياطين ، المستحكمة اليوم في حياتنا البحرينية !

أنا .. وعلي سيار .. وصدى الأسبوع !

بقلم : إبراهيم بشمي

في عام ١٩٦٧م خرجت من منزلي حاملا في يدي أول مقالة أكتبها ، آنذاك كنت في صف التوجيهي متوجها إلى مجلة صدى الأسبوع التي لا يبعد مقرها عن منزلي في فريق كانو سوى بزرنوق واحد .

كانت المقالة المكتوبة تحتج على الهزيمة العربية عسكريا وقد كتبت متسائلا : كيف يمكن أن ننتصر على العدو إذا كنا نخرج للشارع ونحن ندق على الأواني والقدور محاولين طرد الحوتة الشريرة التي سوف تأكل القمر !

وطبعا الأستاذ علي سيار لن ينشر هذا الموضوع لتلميذ بالكاد أن يتخرج من التوجيهي إلا في صفحة القراء !

في المرة الثانية التقيت بالأستاذ علي سيار وأنا قد أنهيت دراستي الجامعية في عام ١٩٧١م وقد توجهت إليه محملا بأول موضوع عن الصحافة كتبته وأنا على أبواب التخرج وكان يحمل عنوان : ماذا يجب أن تكون عليه الصحافة وهو موضوع نظري يتحدث عما يجب وما ينبغي وما يفترض وأنا مدجج بالنظريات التي لم تواجد مطرقة وسندان الواقع في السبعينيات !!

عندها أعطيت الأستاذ علي سيار (الموضوع) حمله بيديه وقال لي وعينيه تتطلعان إلى هذا المبتدئ في عالم الصحافة : هذا الموضوع ثقيل ولا يمكن أن ننشره على حلقة واحدة على الأقل سوف ننشره على حلقتين .

وتطلعت إليه أنا بعينين حادتين وكأني أقول لنفسي التي تكره الموضوعات المتسلسلة وأقرأ البقية داخل العدد؛ إذا دعني أعيد النظر فيه وسوف أعـود إليك .

وخرجت من مبنى صدى الأسبوع وعلى بعد ١٠٠ قدم دخلت إلى جريدة الأضواء وتوجهت إلى مكتب الأستاذ محمود المردي الله يرحمه ولم تكن آنذاك أبواب رؤساء التحرير مغلقة ولا يحتاج الأمر إلى أن تطلب موعدا مسبقا ولا . . ولا . . . وعندما قلب الأستاذ محمود المردي المقالة قال لي والدخان يتصاعد من غليونه الشهير : ها . . إبراهيم . . خلصت الجامعة ! ؟ وعندما أجبته بالإيجاب قال :



أنت مكانك عندنا : ومقالتك سوف تنشر كلها في آن واحد ! وهكذا القدر جعلني أخرج من صدى الأسبوع التي كنت أميل إلى أسلوبها في العمل الصحفي وأتوجه إلى الأضواء للعمل فيها عام ١٩٧١م الأول من سبتمبر وأغادرها لظروف سياسية متوجها إلى بيروت في فبراير ١٩٧٣م .

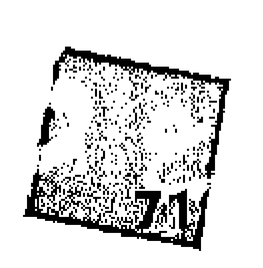
وأعود إلى البحرين في عام ١٩٧٥م ولا تسعفني الذاكرة لماذا لا أرجع للعمل في الأضواء وأعود مرة أخرى لأعمل هذه المرة مديراً لتحرير جريدة صدى الأسبوع !

العمل مع الأستاذ علي سيار الذي يحب العمل معه متعة فهو على طول الخط يتابع ويناقش ويحاور ويطلب الأحسن ولكن عندما نصل إلى النواحي المادية « يحرن « وأتذكر بأنني كتبت في صدى الأسبوع بأن الأستاذ علي سيار يتمنى الحصول على صحافيين هنود يستطيعون الكتابة باللغة العربية وحبذا لو يعرفون الطبخ وغسيل السيارات وللحق يقال فإن هذا النقد نشر في صدى الأسبوع ولم يزعل الأستاذ علي سيار .

ولأولئك الذي عملوا في الصحافة من منتصف الستينيات وحتى الثمانينيات يعرفون جيدا مدى الصعوبة في الحصول على الأخبار وفي تعدي الخطوط الحمراء وفي صعوبة الحصول على الإعلانات وبالتالي فإن العمل في الصحافة آنذاك كان يعني المشي في حقل من الألغام لا تدري أي نوع من الألغام سوف ينفجر بك ! وفي أول شهر يوليو غادر الأستاذ علي سيار البحرين في عطلته الصيفية السنوية التي لا يتنازل عنها أبدا وأصبحت آنذاك المسئول الأول عن صدى الأسبوع في غياب الأستاذ علي سيار وطبعا لا يوجد في تلك الفترة هواتف نقالة ولا فاكسات ولا (ايميل) ولا . . ولا حتى تتصل برئيس التحرير .

وصدر العدد الأول في يوم الثلاثاء بعد سفر رئيس التحرير وكان معه مواضيع العدد تحقيق كتبه تحت عنوان تجارة الرقيق الجديدة وهو أول تحقيق يعالج مشاكل العمالة الأجنبية وهناك تحقيق آخر كتبه الزميل الدكتور الأخ حسن مدن عن مصر وكان هناك بيان كتلة الشعب عن قانون أمن الدولة . . .

وفي يوم الخميس ١٩٧٥/٧/١٥م تلقيت منذ الصباح مكالمة من مركز المنامة تستدعيني للذهاب إليهم وهناك أخبروني بأنني مطلوب في (القلعة) وما أدراكم ما القلعة في السبعينيات . . وكنت انتقل من قسم إلى قسم حتى استقر بي المقام في الزنزانة رقم واحد . . ويبدأ التحقيق معي في الليل عما نشر في صدى الأسبوع . . وبعد ثلاثة أشهر من السجن الانفرادي تنتهي المحكمة بتبرأتي لانه لا يوجد في القانون القديم ما يجرم الصحفي حيث أن المسئولية الافتراضية هي على رئيس التحرير وتم الانتباه لهذا الأمر في قانون ١٩٧٦م إلا أن فرحة البراءة لم تكتمل ومن المحكمة إلى الزنزانة مرة أخرى حيث طبق علي لأول مرة قانون أمن الدولة . . تلك حكاية أخرى من حكايات صدى الأسبوع وحكايات الصحافة البحرينية .



رابعا : مقتطفات

من كتاباته الصحفية





مجلـــة صـــوت البحـــرين

- نصفنا الحلو.... مــــر !!
- في مفارق الطريق



نصفنا الحلو ... مر !!

هل فكرت يوماً في الزواج ؟ إلى هذه الشبيبة التي تقف على مفترق الطريق حائرة مترددة والتي تفكر ولوج قبر الزوجية . . . وإلى الذين لحقوا بقطار الزواج فاستقلوهوإلى كل فرد تقوم عليه دعامة من دعامات البناء لخير هذا المجتمع وسعادته . . . إلى كل هؤلاء أسوق هذا الحديث .

أن أحداً لا يستطيع أن يرفع يده استنكارا أمام حقيقة عندنا – هذا إذا جاز أن نسميه زواجاً – إذ هو في الواقع ليس أكثر من مشروع إفلاس يخرج بعده الشخص وقد نظفت جيوبه كأنما مستها يد ساحر . لا أظنني في حاجة إلى القول بأن الزواج شركة عادلة متكافئة بين شخصين متكافئين يواجهان الحياة ومشاكلها جنباً إلى جنب ويسند الواحد منهما الآخر صيانة للنسل البشري من ناحية واستمتاعا بمباهج الحياة الزوجية من ناحية أخرى

هذا كلام لا أظن أن بينكم من يجهله أو يستغلق عليه فهمه ولكنه مع ذلك كلام قد لا يلائم بعض النفوس المتحجرة التي يجثم على مناحي حياتها حب القديم وتستولي عليها الرغبة في ما جاء بالآية الكريمة (إنا وجدنا آباءنا على ملة وإنا على آثارهم لمقتدون) .

لست هنا بمجال النصح والإرشاد ولست بمجال سرد المآسي الكثيرة التي تتمخض عنها مشاريع الزواج في محيطنا ولست أخيراً بمجال سرد التكاليف الباهظة التي يغرق فيها العريس من قمة رأسه إلى أخمص قدميه فكل تلك أشياء يلمسها الفرد العادي بل الشباب المثقف الذي يجب أن يكون نواة صالحة طيبة في أرض صالحة طيبة . هناك فئة قليلة تتخذ من الزواج قنطرة للإثراء أو مسلكاً تنفذ منه للبذخ والترف أو تتخذه مباهاة وخيلاء . . . وهناك فئة أخرى غالبة لا تجد منفذاً للزواج غير هذا الطريق رغم أنفها ورغم أنف الإملاق الذي ينشب أظافره فيها فتمضي في الطريق منكسة الرأس ليس لها أن تفتح فمها بكلمة إعتراض أو تهز يدها بإشارة استنكار لأن قيودا حديدية ثقيلة من تبعة الماضي وتقاليده تغل يدها وتسيطر على مناحي حياتها الاجتماعية . . . ولهذا تمضي هذه الفئة كما يمضي المجرم المحكوم عليه بالإعدام إلى المشنقة . . . ومشنقة الطبقة الوسطى – التي هي عماد الأمة وعصبها – هو الزواج . . . إنها تمشي إلى المشنقة طائعة مختارة لأن الزواج شر لا بد منه . هو شئ طبيعي في حد ذاته إذا لم يكن مصحوباً بنزيف مالي ضخم كل (تحويشة) العمر ، وإذا لم يكن مصحوباً بهذه السفاسف البغيضة من أغلال التقاليد العتيقة التي لم ينسج على منوالها جم غفير من سواد الشعب . وأول هذه الأغلال هي مشكلة « المهور » وليس المهر شيئاً مرذولا كما يتبادر إلى الذهن لأنه بمثابة إحتياط الزوجة في مستقبل حياتها ولكن هناك أناساً لا يفهمون المهر على هذه الصورة بل يفهمونه على إنه تجارة رابحة بدون رأس مال ، فهم لا يقبلون تزويج بناتهم إلا لمن دفع مهراً أكبر أو لمن قدم وسائل مادية أضخم . . . هؤلاء هم تجار الزواج والفرق الوحيد بينهم وبين التجار العاديين هو أن هؤلاء يعرضون بضاعتهم في مكان أكثر إثارة للإنتباه يراها الرائحون والغادون ، أما أولئك فبضاعتهم مخزونة لا يراها المشترى أو بمعنى أصح لا يراها كبش الفداء الذي هو العريس . إن الذي ينقص هؤلاء هو عرض بناتهم في المحال التجارية ليراها الزبائن ليقدموا عروضهم على هذا الأساس وبذلك يضمنون ربحاً تجارياً أوسع وكفى الله المؤمنين الإنتظار المرار عقاباً للعريس المغفل . وقد يطول الإنتظار . هذه هي الفئة التي تفهم المهور على أنه تجارة وهي التي يجب أن تحارب من جميع طبقات الشعب .



ثم تأتي بعد ذلك المشكلة الخالدة أو المأساة في كل زواج إلا وهي تكاليف القيام بحفلات الزفاف ومصاريف الولائم التي يصرخ من فداحتها جيب العريس المسكين وهي لا تقل عن تكاليف المهر بحال من الأحوال مضافا إليها ما يسمونه « الدزة » و « التصبيحة » وما إلى ذلك من حلقات واسعة مفرغة .

بالله قل لي أية أعصاب يمكن أن تثبت أمام كل ذلك وأية ميزانية يمكن أن تحتفظ بتوازنها تجاه هذه الأبواب المفتحة من المصاريف إلا أن تكون أعصاب وميزانية ترى من أثرياء الحرب « الأذكياء » أو شخص ممن أعطاهم الله بسطة في الرزق ، وأولئك و هؤلاء قلة لا يمكن أن تكون حتى سدس مجموع الشعب . ومن هنا تبرز المشكلة الكبرى . مشكلة التبذل والإنهيار الخلقي فتنشأ المباذل والمفاسد ويحترق في أتونها الآثم شبابنا المتردد الحائر بعد أن يكون قد شل تفكيره طلباً للحياة العفة الطاهرة وأنانية المجتمع . وبذلك نخسر أهم عناصر الأمة الكريمة الأبية نخسر عنصر الشباب الذي يجرفه شلال الأثم ويغويه نداء الشيطان فلا يجد إلا الوحل مرتعا خصيباً يذيب فيه روحه وعصارة قلبه ودمه . ونخسر الإيمان بأنفسنا كأمة تريد أن تعيش حرة مترفعة كريمة . وأخيراً نخسر البيت العف الطاهر الذي كان يمكن أن نشيده مترفعاً أبياً لو كنا أحسنا التوجيه ولو أنحسرنا من بعض تقاليدنا وعاداتنا التي لا تتمشى مع مقتضيات عصرنا من سرعة وبساطة وغلاء .

أن كرامة الأمة من كرامة شبابها . وحريتها من دماء شبابها . وأملها في سواعد شبابها ، فكيف يتسنى لنا ذلك ونحن نطرد كل يوم شاباً من محيط الكرامة والعفة . وندوس كل يوم قلباً من هذه القلوب الفتية تحقيقاً لمطمع من مطامع أنانيتنا ورجعيتنا . ثم كيف يمكننا تحقيق ذلك ونحن أبعد ما نكون عن مستلزمات الحياة العفة من تبعات وتضحيات أن شبابنا سيظل حائراً مزعزع العقيدة في ثقته بنفسه وفي ثقته بالمجتمع الذي يظله ما دام هذا المجتمع أنانياً تهيمن على دفته روح الرجعية المقيته وتسيطر على قواه مباذل المادة والجشع دون وازع من خلق أو ضمير ودون دافع لعمل الخير وطلب السعادة للآخـرين .

وأخيراً أنت أيها الأب . . . وأنت أيتها الأم . . . أن بيدكما مصير جيل بأكمله وفي عنقكما أمانة الأجيال القادمة فهل ستمضيان في طريقكما المادي الشائك أم ستنحرفان عنه إلى الطريق السوى ؟ إن الأجيال القادمة لتترقب الأمانة المجهولة متوثبة قلقة في عالم الغيب المجهول . !

العدد الأول ، السنة الأولى
(ذو القعدة ١٣٦٩ هـ) ، ص ٢٣



كثرت المؤلفات والتوجيهات حول تحديد بواعث اليقظة العربية ورسم مناهجها وخطوطها ، وكثرت تبعاً لذلك التقاويل والتخرصات حول مستقبل هذه الأمة في معترك النضال العالمي . فلكل كاتب طريقته في تحديد معالم هذه اليقظة ولكل مصلح نظرته الخاصة في تبيان ما يجب أن تكون عليه . ولكن بالرغم من كل هذه السيول الجارفة من المقالات والكتب والمصنفات فإن أحداً لم تظهر عليه بوادر فهم صحيح لهذه اليقظة التي تتمرجح في خلط كثير بين عناصر الموضوع ، وبالتالي فإن أحداً من كل هؤلاء لم يحاول أن يلج في صميم حياتنا ليلتقط من مسارب الشكوك والحيرة وعدم التماسك خيط الحقيقة التائهة ليوقظ بها في قلوب القوم روح القوة والثورة والحيوية الزاخرة بمعاني القوة . . هذه الحقيقة البسيطة في مبناها والتي لا تخرج عن كونها إستدراج القطيع الضال إلى حظيرة القرآن ... دستور الدساتير . ولهذا كان من المحتم أن لا تتعدى نظرة هؤلاء الكتاب والمصلحين نطاق دورها البدائي مما لم تتهيأ معه الأذهان بعد إلى دور العمل والتفاعل .

فمنهم من يرى أن سر تدهور العالم العربي هو فقدانه لأكثر المميزات التي قام عليها بناؤه خلال فترة نشوئه وظهوره وهي الفترة التي صاحبت انبثاقه قبل ثلاثة عشر قرناً . وهو قول فيه شئ كثير من الصحة ولكنه يفتقر بعد ذلك إلى صحة المقارنة فالمفهوم أن العوامل التي صاحبت تلك الفترة مغايرة للعوامل التي تكتنفنا في عصرنا الحاضر وأعني عوامل البيئة ونقاوة الدم من العناصر الغربية وشعور العرب آنذاك بتفتح مجالات جديدة أمام آفاتهم ، ومن هنا فان هذه النظرة لا تغلب عليها صبغة الواقع .

ومنهم من يرى أن سر تدهوره راجع إلى أنه يعيش بعقلية القرن العشرين ويفكر بعقلية القرن الرابع الهجري ولهذا القول أيضاً نصيبه من الصحة فمما لا شك فيه إننا نتذبذب في عنف بين مقتضيات العصر الحديث وبين محاولتنا التمسك بذخيرتنا التقليدية في ممارسة بعض أنظمتنا آزاء ما تتطلبه حياتنا الجديدة ، وهؤلاء أصحاب هذه النظرة يقفون في مفترق الطريق لا يجدون في مسايرة النظم الحاضرة خيراً مطلقاً ولا في التعلق برواسب التقاليد شراً مطلقاً ، ولهذا نجدهم يقتاتون من كلتا المائدتين في تحفظ وحذر . وهناك فئة أخرى ترى أن الأخذ من حضارة الغرب ومسايرته في نهج حياته هي خير وسيلة لكي يأخذ العرب مكانتهم بين صفوف الأمم الراقية دون ما التفات إلى الطبيعة أو البيئة في خلق عناصر هذه الدعوة ، وهذه الفئة يغلب على تفكيرها الإنصياع لقوة الغرب ، منشؤه إحساسها بعمليته وحقيقة كينونته القوية . ولكنها بهذا تطمع إلى أكثر مما تتحمل طبيعة العرب وبيئتهم ودينهم . وبين هذه الفئة وتلك تطل فئة أخرى برأسها لتنشر على الملأ بأن سر هذا التدهور ليس هذا ولا ذاك ولكنه في شوائب هذه الحياة العربية التي تتعلق بها والتي تدمغ حياتنا بطابع مغاير لبيئتنا وعاداتنا مما لا يمكن أن نعيش معه بمعزل عن إحتمال فقداننا لمقومات الكيان العربي الخالص وفي سبيل تحقيق ما تدعو إليه فإنها تنادي إلى تدعيم يقظتنا بقومية تنبع من ذاتنا وحضارة تنبت من أعماقنا . ولكن هذا الرأي أيضاً يحتاج إلى كثير من التحفظ والإحتراس قبل الأخذ به ، فهؤلاء لم يقولوا لنا كيف يمكننا أن نتكتل في وحدة انعزالية في طوفان عالم تشابكت فيه ليست المصالح فقط بل كل مقومات الحياة الإنسانية بخيرها وشرها . وهم ينسون أو يتناسون – عند إعتناق هذه الفكرة بأن الأمة العربية لا يمكنها أن تنفصل عن الوحدة



الكونية التي أوجدها الخالق وجعلها تتفاعل في شبه مجموع كامل . ولو قد أمكنها ذلك لاتصفت بأكثر من مدلول واحد من مدلولات الأثرة والأنانية والإنطوائية . وهم في مجال دعواهم هذه يقررون إن الإسلام والعروبة يجب أن يتلازما في خلق هذه القومية .

وهنا أقف لأسال هؤلاء : إذن أين هو السلام الذي يدعو إليه الدين وأين هو التآلف الذي قام عليه الإسلام وأين هي دعائمه الصحيحة التي يرتكز عليها إذا سلمنا جدلاً بأن مزج روح الدين بروح العروبة هو الذي يهيئ البروز والتمركز في محيط هذه الدعوى للقومية العربية ؟ ثم هل أرسل محمد ليكون داعية الدين للعرب وهديهم فقط ؟ أم كان يغزو به تخوم الجزيرة وأطرافها من فرس وأروام ؟ وعلى هذا لا يكون محمد هو نفسه الذي حارب هذه الفكرة الإنطوائية التي يدعو إليها هؤلاء ويسمونها القومية ؟

أما حقيقة واقعنا في منطقه فإنه يقول بأننا في حاجة إلى الرجوع إلى دستورنا الديني الذي اختطه القرآن وإلى تكتل القوى وإلى آلة تصنع الحديد وجيل يختزن في تفكيره أكبر طاقة حيوية ليجابه بها تيارات الآلة بروح أقوى ومادة أصلب . إن العالم بشرقه وغربه وحدة شاملة لا يمكن إن نجزئه لا لسبب إلا لأننا نريد أن ننفصل عن هذه الوحدة ، هذا الإنفصال الذي يعني حصر جهودنا وإمكانياتنا لأنفسنا فقط دون أن نجعل من التعاون الإنساني بمعناه الشامل مبدأ يجب أن نهدف إليه ونبلوره في كياننا بسبيل خلق حياة أفضل وروح مثلى في عالم تطاحنت فيه الشرور وتواكبت على عناصر الخير فيه كل عوامل التفكك والتخلخل أن في نظمه أو في إنعدام شعوره بميزة الحياة الكريمة .

ومعنى إنطوائنا أيضاً هو أن نتخلص من كل ما يمت إلى الصبغة الخارجية بصلة سواء كان ذلك في الطريقة التي نمارسها في عالم يقظتنا هذه – أو قوميتنا كما يجب أن يسميها آخرون – أو في التحرر من الإمدادات الأجنبية التي كان لبعضها – ولا أقول لكلها – بعض الفضل في تهيئة أسباب الشعور بالذات والقيمة الفردية .

إن مصيبتنا نحن العرب ليست في قدرتنا على هضم إمكانيات يقظتنا هذه – كما يحاول بعض الدعاة أن يوهمونا به – ولكنها في هذا التذبذب الفكري تجاه مسؤوليات حياتنا في عصر بدأت فيه طلائع الشعوب « المتقدمة « تحاول الوصول إلى قمة الحقيقة العلمية بشتى أغراضها ومراميها ، بينما نحن ننظر إلى هذه الحقيقة نظرة العابد المتبتل تزكم أنفه رائحة الخطيئة فهو يحاول أن يفر منها وأن ينجو بنفسه من ويلاتها ، وهو شعور مضلل فيه أكثر من مغالطة وأكثر من وهم خادع وذلك لأن سنة التطور تقتضينا بل تحتم علينا إن تجاري جحافل الشعوب في مضمار سباقها إذا كنا نريد الحياة والنشور ، هذا إذا فهمنا إن العالم – بمجموعه الكامل – يدنو بخطوات حثيثة إلى فقدان كثير من المميزات العامة للطوائف والشعوب ومنها مميزات العلم ومميزات الثقافة ومميزات الدم النقي الخالص وذلك بفضل تلاشي الفوارق الطبيعية تحت ضغط الوسائل العصرية الحديثة . على إن هذا ليس معناه

إن ننغمر في تيارات الغرب وأن نتقبل كل وسائله وعاداته في تطبيقها على مناحي حياتنا فقد يكون في ذلك ليس تفككنا وتزعزعنا فحسب بل موتنا والقضاء علينا قضاءً أبديا . . . وليس معناه أيضاً أن ننحاز بكتلتنا عن التعاون معه في حدود المصلحة العامة لبني الإنسان والأخذ ببعض أسبابه مما يمكننا صهره في قالبنا والإضفاء عليه من طابعنا الخاص مما يجعله ملائما لحياتنا وبيئتنا .

على ضوء هذا يجب أن نفهم حقيقة ارتباط الشعوب ببعضها البعض وعلى ضوئه يجب أيضاً أن نتفهم دخيلة الشعوب التي تنبض بالحياة إذا أردنا تحقيق وجودنا وتثبيت دعائم كينونتنا . أن القومية الصحيحة التي يجب أن تصاحب يقظتنا والتي يجب أن نتعشقها وأن تكون هدفاً لنشئنا الجديد هي الدين أولاً والقوة ثانياً . .

قوة الآلة وقوة النفوس ، وليست بعث الماضي وسفح الدموع والتحسر على الحاضر والجري وراء أوهام عجفاء . . ويوم نعرف أن الضعيف في هذه الأرض هو اللقمة المهيأة لجبروت الحديد وسيطرة المادة وأن الأمة التي تعيش على فتات التاريخ هي أمة عاجزة ضعيفة لا تستطيع أن تقف على قدميها بل أن تبعث في قواها المتينة عنا صر
الكينونة والإستقرار . . أجل يوم نعرف كل ذلك نكون حينئذ قد أمسكنا في أيدينا بأولى خيوط الفجر الجديد المنبثق من وهج الحقيقة الناصعة .

وكما أن الشعوب الفتية لا يمكنها أن تعيش بمعزل عن التفاعل في مثل عليا تسندها وتقوي من عزيمتها في مضمار خلق عوامل يقظتها فلا مناص لنا نحن كذلك من التكتل في وحدة مثالية روحية تتفاعل في محيطها ونخلد إليها . ولنا في مثلنا الدينية التي أختطها الإسلام أمثل العقائد الروحية منذ أن وجد الإنسان على الأرض . . ولقد كان ديننا – وما زال – دين قوة وتكوين بجانب كونه شعلة روح مقدسة تجنح بالإنسان إلى ذروة العالم الروحي بخلاف الأديان الأخرى التي تخط أقدامها في الحياة أما على دعوة صوفية متواكلة أو على الحديد والنار وبصناعة اللحوم . وقرآنا يعج بكل مقتضيات العصور والأزمان . من دين وعلم واقتصاد وتشريع وسياسة بينما لا تجد في الأديان الأخرى غير تفاهة نظريات راكدة بين علاقات البشر في الأرض وتحديد إرتباطها بملكوت السماء . ولهذا فإن من أوجب واجباتنا إذا أردنا أن نتبوأ مكاننا بين الصفوف هو أن نستوحي ماهية وجودنا من قرآننا . . ومن قرآننا فقط . وما لم تتفاعل في كياننا عقيدة الدين وتتماوج في مطالب حياتنا شرائع القرآن فلن نرتفع عن وضعنا هذا ولن نستطيع أن نقاوم عواصف الغرب بتبذلها وإنحطاطها .

إن دستورنا حين يقول : « وأعدوا لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم « فإنه لا يقول ذلك عبثاً أو تحت ظرف خاص بل تحت ضرورة الحقيقة القائلة بأن البقاء للأقوى ، كما أنه لا يقول عبثاً : « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا ، فتلك حقيقة

عرفنا منذ أمد طويل وما زلنا نعاني منها الشيء الكثير – حين أخذت تحرك مصائرنا ومجتمعاتنا أصابع إبليس المترفة وحين أخذت ديدان النعومة الماجنة والترف الدافئ . نكبت صراخ الدين وتخنقه في صدور الأحرار .

لا أريد أحداً أن يفهم كلامي هذا على أنه دعوة لشل سير الحركة التقدمية بالتكالب على الكهانة الدينية – كما يسميها الأستاذ خالد محمد في كتابه « من هنا نبدأ « – والتي تحطم معنوية الفرد وتمتص منه كل قدرة على السير في ركب الحضارة وتنحط به إلى حضيض التواكل والصغار . . . هذه الكهانة التي لم تكن في يوم من الأيام دعوة إسلامية أو عقيدة دينية ، بل كانت ولا تزال – أكبر أعداء الإسلام وأفتك أدوائه . لا . . . ليس هذا ما أردت ولكنه الإنعتاق من كل هذا والإنصياع لجوهر الدين الصحيح الذي لم يتشبع بتمتمات التصوفة وأستذكارات الدراويش . . . الدين الذي أنبثق قبل إن تخلخل عناصره الدروشة والتصرف فلما دخلاه إشاعا فيه روح الضعف والكسل والتواكل وتخدر الأعصاب والأذهان .

ورب قارئ يتبادر إلى ذهنه هذا السؤال : ولكن كيف ننسى للغرب وهو كما نعرف مباءة للرذائل وإنحلال الخلق وعنواناً لإنحطاط مستوى الدين فيه إن يكتسحنا ببضاعته المادية الكاسدة ؟ وهنا ليسمح لي هذا القارئ ان أسأله بدوري : ولم لا يكتسحنا الغرب ؟ ولا أظن السائل سيقول بأنه أكتسح دينا ، فالواقع أنه لم يكتسح غير أمة تفككت فيها روحانية الدين وسيطرته على النفوس ، وأنحلت قواه وروابطه في مجتمعها ، فكأنما نحن الذين هيأنا له – دون أن ندري – العوامل والمسببات وفتحنا له أراضينا العامرة بذكر الشيطان ثم قلنا له في كرم لا نحسد عليه : هيا تفضل ونحن أطوع لك من بنانك . هذا هو واقع الحال وهو واقع تؤيده الشواهد وتدعمه البينات في كل منعطف من منعطفات مجتمعنا المريض المتهالك .

أجل إن الدين أولاً . . . ثم القوة ثانياً . . . وبعدها فسترون إن معالم الطريق أمامنا واضحة بينة . . . هذا الطريق الذي وقفنا عند مفارقه – وما زلنا واقفين – ننتظر إن تمدنا السماء بمعجزة من معجزاتها لتنقذنا من ويلاتنا في عصر خلا من المعجزات والمستحيلات .

العدد الثامن ، السنة الأولى
(شعبان ١٣٧٠ هـ) ، ص ٢٣



جريـدة القافلـــة

- وفرنسـا ... أيضـاً ... !
- الإعلان الذي رفض
- أين العيـد ؟ !
- رواسـب الزمـــن ... !
- رواسـب الزمــن ..... أيضـاً

وفرنسا ... أيضـاً ... !

فرنسا – هذه العجوز القذرة – التي كانت من أولى الدول التي أحنت رأسها للجيوش النازية الغازية في الحرب الأخيرة .. فرنسا هذه تسلط الآن مدافعها وبارودها على عرب شمال أفريقيا ...

لماذا ... !
لأنهم يأبون أن تداس كرامتهم ..
لأنهم يأنفون من السير في ركب هذه الدولة الفاجرة ...
لأنهم أكبر من أن يطأطئوا رؤوسهم لهذا العنصر المشوه ..

ورغم هذا كله ففرنسا – وما أبغضه من أسم – تحتل كرسياً فاخراً في هذه الهيئة الفاشلة التي يسمونها "مجلس الأمن" .

أن أربعمائة مليون مسلم وعربي يضعون أيديهم على قلوبهم الواجفة القلقة وهم يرقبون الحوادث الدامية والمآسي المخزية التي يرتكبها هؤلاء السفاحون في عرب تونس ومراكش .

ونحن عرب هذه الأقطار النائية البعيدة عن إخواننا التونسيين والمراكشيين ماذا يجب أن نعمل ؟



حقاً . . ليس بإمكاننا إن نحارب معهم . . . .
وليس بإمكاننا أيضاً أن نمدهم بالمال والسلاح . .
ولكن بإمكاننا أن نعمل شيئاً واحداً . .
إنها الورقة الوحيدة الرابحة في يدنا . . .
. . . المقاطعة . . . .

نعم . . لنقاطع فرنسا كما قاطعنا إسرائيل . . . ولنضرب على منتجاتها – هذه المنتجات الترفة الماجنة من عطور ومراهم – حصاراً حديدياً من المقاطعة فلا تدخل بيتاً أو متجراً . . .

وإذا عملنا ذلك تسنى لنا أن نرغم هذه العجوز الهرمة على الخضوع والخنوع وعلى تغيير سياستها نحونا . . ونحو الشعوب المحبة للحرية والسلام .

إننا يجب أن لا ننظر إلى فرنسا إلا كنظرتنا إلى إسرائيل أخرى ، إن مذابحها في سوريا ولبنان – قمعاً للحركات الثورية التحررية – لا يمكن أن تمحى من أذهاننا وأن إجرام جنودها وهم يمزقون قرآننا ويدوسونه لا يمكن أن يمر هكذا في الأذهان دون أن يزرع في قلوبنا الحاقدة الواترة موجدة أخرى وترة جديدة .

إن هذا أقل ما يجب أن نعمله تضامناً مع إخواننا عرب شمال أفريقيا المجاهدين الصابرين في ساحات الدم والموت .

أيها العرب . . . قاطعوا فرنسا . . . قطعوها فان لنا في رقبتها لثأر . . . وإن لها معنا لحساب .

العدد الرابع
السنة الأولى (١٩ ديسمبر ١٩٥٢م) ص ١

الإعلان الذي رفض

في سبيل العامل الكادح المظلوم وفي سبيل العائلات المرهقة البائسة . . وفي سبيل الألوف من أبناء هذا الوطن الكريم المشردين في فيافي المملكة العربية السعودية . . وفي سبيل الحق والواجب والوطنية . . . أجل في سبيل كل أولئك رفضت أسرة تحرير هذه الجريدة – ولا فخر – أن تنشر إعلانات شركة بابكو ، أو بلغة أصح ، مساخرها التي توالى نشرها في الصحف المحلية والتي دأبت أن تنشر فيها كل يوم أكذوبة جديدة سافرة أشبه ما تكون بالطعم الذي يوضع في الفخ لإقتناص الطائر الساذج المسكين . . .

لقد كان أول ما هدفنا إليه حين أصدرنا هذه الجريدة هو أن نكون في صف الضعيف جنباً إلى جنب نمده قوة من قوتنا المتواضعة ، وننير لـه الطريق في مسلكه الوعر الموحش ونمهد له طريق الحياة الحرة الأبية الكريمة التي لا ضيم فيها ولا عبودية . . . ولم يكن عدنا أضعف من العامل المسكين الذي تحني ظهره الفاقة وتثقل كاهله العبودية وتعتور حياته جحافل المرض والجهل والإستغلال . . . نعم لقد كان هذا هو أول ما هدفنا إليه قبل أن يطلع العدد الأول من هذه الجريدة التي لا تفخر بشيء قدر إفتخارها بأنها كانت وستكون السند الأول للعامل المغبون واللسان المعبر للمظلومين المضطهدين والمرآة الصادقة التي لا تكذب ، لآمال الشعب وآلامه .

ولهذا هاجمنا شركة بابكو وهي الشركة التي تمثل أكبر مصنع لتخريج المشوهين والعاجزين في هذا البلد المظلوم . . هاجمناها دون إن يدفعنا أحد إلى ذلك هاجمناها وما زلنا نهاجمها لأنها بالنسبة لنا لم تكن أكثر من برميل ضخم يمتص دماءنا ويستشف منا آخر نبضة من نبضات الحياة . . وفي سبيل ماذا ؟ في سبيل أن نجوع ونتشرد . . . في سبيل أن نذل ونهان . . . في سبيل أن نستعبد وان تهدر كرامتنا . . في سبيل أن يخرج الفرد منا وفي بدنه عاهة وفي حلقة غصة وفي نفسه شكاة . .

إننا لا نريد أن نفخر لأننا رفضنا نشر هذه الإعلانات فما عملنا هذا إلا واجباً متواضعاً أديناه ونحن فرحون مستبشرون . . لقد أردنا من وراء ذلك أن ندق المسمار الأول في نعش الحيف والظلم والجور . لقد وقفنا موقفنا السلبي تجاه شركة بابكو ونحن نعلم إننا سنخسر مادة دسمة من المعين المالي لا جرم انه كان سيتيح للجريدة فرصة أكبر ومجالا أوسع لتدعيم مركزها المالي لو تأتي لها عن هذا الطريق المهين الميسور . . . ولكننا قدرنا أن هذه الدريهمات التي سنقبضها مقابل هذه الإعلانات الشائهة سوف لن تكون إلا خدعة كبيرة نضلل بها هذا الحشد الكبير من إخواننا العمال الذين يسفحون دمعهم ودمهم رخيصاً على مذبح الشهوة والأنانية في سبيل الشيطان . . ولقد قدرنا أيضاً إننا نحمل في أعناقنا رسالة مقدسة نؤمن بها إيماناً عميقا منزها عن الصغائر ، وكان واجباً علينا تبعاً لذلك أن لا نتخلى عنها مهما كان الثمن ومهما بلغت الرشوة . كانت هذه – أيها المواطن الكريم – هي نقطة البدء والإرتكاز في رسالتنا وعقيدتنا التي رسمناها لأنفسنا قبل أن ترى هذه الجريدة النور ، وإذا كان لنا أن نقول شيئا بعد كل ذلك فلن نقول أروع مما قال الله عز وجل : " قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " صدق الله العظيم .



أيـن العيـد ؟!

أجل .. أين العيد ؟

هل هو في هذه التحايا الهزيلة التي لا تحمل من معنى إلا هذا المعنى الساذج المحدود في كونها شيئاً يجب أن تقوم به في حركات آلية صبيانية .. أما لماذا نقوم به فان أحدا لم يفكر فيه ؟ .

أم هل هو في هذا المظهر الذي يطل علينا برأسه من دواوين الحكومة ليقول لنا بأن هذه الدواوين معطلة طيلة ثلاثة أو أربعة أيام ؟

أم هل هو في هذه التجمعات الفارغة في المقاهي والشوارع حيث يلوك كل منا سيجارته في حلقة طيلة ساعات النهار ليشعر نفسه بأنه حقاً ودع رمضان .. ؟

هذه هي المظاهر السطحية للعيد عندنا .. أما إقرار الحقيقة التي تقول بأن العيد يجب أن يكون إبتسامة على شفتي الفقير ... وثوباً على جسد العريان ... ولقمة في فم الجائع .. أما هذه فأشياء لم تعرف طريقها إلى القلوب بعد فالفقير ما زال فقيراً يفصح كل عرق في بدنه عن ضراوة الجوع الكافر الذي ينهش أمعاءه ... والعريان ما زال عريانا وسط قوم يلبسون فاخر الثياب ويأكلون فاخر الطعام .. والمحروم مازال محرماً كأنما العيد بالنسبة له شئ لا يمكن أن يشاركه فيه أحد أو أن يشركه فيه أحد وإذا كان نصف الأمة يشكو الجوع والفاقة والحرمان ، فأي معنى بعد ذلك لهذه التحايا الكئيبة التي يرسلها الفرد منا كأنما هو قد أدى كل ما عليه من واجبات ... ولم يبق عليه إلا أن يهنئ نفسه .. وأن يهنئ السعداء بهذا العيد السعيد ...

وبعد ، فإن أفراحنا ستظل ناقصة مبتورة طالما ظلت الفكرة التي يحملها الناس عن العيد لا تتجاوز هذه السطحيات من لبس ثوب جديد .. والحصول على عطلة ثلاثة أو أربعة أيام ... وتحية هزيلة تكاد تضيع في دوامة الشقاء الأسود الذي لا يريد أن يريم .. وحتى نفهم ذلك .. وحتى ندرك إننا إنما نهزل .. وإننا إنما نعبث ... فسنبقى في مؤخرة الصف نلهو مع اللاهين .. ونعبث مع العابثين ... وسيبقى مفهوم العيد عندنا فكرة تائهة ضالة تنتظر من يلتقطها لينفخ فيها الحياة .

العدد ٣١
السنة الأولى (١٢ يونيو ١٩٥٣م) ص ١

رواسـب الزمـن . . . !

لا أذكر إنني دخلت المسجد الجامع مرة وخرجت منه وأنا راضياً عن شيوخنا وأئمتنا الذين أرتضوا أن يقوموا منا مقام التوجيه والإرشاد . . . وفي كل مرة كنت أستمع إلى الخطيب - أي خطيب - تأخذني الحسرة ويتولاني الندم لهذا النفر من الناس الذين لم يفهوا خطبة الجمعة إلا إنها حض على الصلاة والصوم وإيتاء الزكاة وحج البيت الحرام . . . وأما ما وراء هذه المعاني السامية من سبر لغور الحقائق وقيادة الناس إلى حياة مثلي وخلق دعامة قوية مستنيرة تهدى الناس إلى طريق النور والحرية فإن أحدا من علمائنا الأفاضل لم يكن ليلم بها من قريب أو بعيد . . ولا أحسبني أقول خطلا إذا طالبت بإيجاد ثورة في مساجدنا . . ثورة جامحة تطيح بالعقول الآسنة والخطب المنحطة . . ثورة في رؤوس علمائنا ليعرفوا إن الإسلام ليس قنطرة إلى حياة أخرى سيدة وحسب . . ولكنه قبل ذلك دينا ينظم علاقات الناس في دنياهم . . . دين حرب وكفاح " وأعِد لهم ما أستطعتم من قوة ومن رباط الخيل " ودينا ينشد المنعة والتسلية "المال والبنون زينة الحياة الدنيا " ودينا ينشد العدل والحق " والعين بالعين والسن بالسن والجروح قصاص " أين علماؤنا من كل هذا ؟

أيريدون من يبصرهم بأننا نعيش غرباء في أوطاننا . . ؟

أيريدون من يفهمهم بان الزمن لا يتسكع . . وأن عليهم أن يطوروا عقولهم وأفكارهم . . وإلا أسقطهم الزمن من حسابه . وقضى عليهم وعلينا . . . ؟

أيريدون من يبصرهم بأن المواطنين يموتون مرضى وجوعى ، لا يحس بهم أحد ولا يعنى بهم أحد في هذا البلد المنكوب ؟

أيريدون من يصرخ في آذانهم بأن بلادنا تعيش في مهزلة كبيرة لا أول لها ولا آخر . . ؟

أيريدون من يقول لهم بأن أوضاعنا القضائية والتشريعية من البدائية والإرتجالية بصورة تبعث على الخوف والقلق واليأس ؟

أيريدون من يزعق في وجوهم بأن المساجد ما هي برلمانات تبحث مشاكل الشعب وتتوخى لأمراضه وعلله الأدواء والعلاج .

وبعد . . . . من الذي وقف فيهم ذات يوم ليقول أيها الناس . . أحذروا الدخلاء في هذا البلد . . . فإنهم اليوم دخلاء . . . وغداً مواطنون . . وبعد غد سادة ؟ .

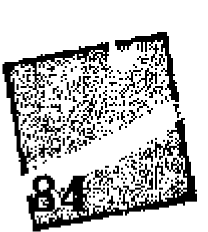
من الذي وقف فيهم ذات يوم ليقول : أيها الناس . . إن الحياة كفاح وجهاد . . كفاح في سبيل الله وجهاد من أجل الوطن ؟ .

من الذي وقف فيهم ذات يوم ليقول : أيها الناس . . إن فلسطين ضاعت . . . وإن الذين ضيعوها هم حكامنا وقادتنا وسادتنا ممن أرتضوا لانفسهم أن يسيروا في طابور الإثم والخيانة والجريمة ؟ .

ومن الذي وقف فيهم (يوم عاشوراء الماضي) ليقول : أيها الناس . .ان بلادنا تقتل من أجل الشيطان . . وإن الدم الذي سال ، سال لا من أجل الحرية ولا من أجل الاستقلال . . . ولكن من أجل الطاغوت .

ومن الذي وقف فيهم ذات يوم ليقول : أيها الناس . . حريتكم أثمن ما في الوجود . . . وبلد لا يتمتع بحريته ذليل خانع تطأه المناسم وتدرسه الأقدام . . . ومن . . . ومن . . . ومن . . . ؟

لا أحد أبداً . . .



كل ما قالوه ويقولنه لنا : عفروا وجوهكم في تراب المساجد . . . وأزهدوا في الدنيا . . . والفقر فضيلة . . . وأنتم خطاؤون كثرت خطاياكم وان يغفرها الله لكم . . أجل . . هكذا يجترون الكلمات في أشداقهم . . . ويولولون في شبه حمى عنيفة بهذه المبادئ التي لو سرنا على هداها لضللنا الطريق ولأصبحنا أمة منكوبة مغلوبة . . تهبنا الدول وتطأ على مناسمنا الأمم ونحن راضون هادئون كأنما الأمر لا يهمنا . . . وكأنما نحن لا نجر وراءنا طابورا من الويلات . . . ويلات من الفقر والإملاق . . والذلة والخنوع . . . لكأنما نسينا قول الله عز وجل " كنتم خير أمة أخرجت للناس " .

ونسي حضرات هؤلاء . . أو تناسوا . . أوهم من السذاجة بحيث لم يفهموا دورهم في هذه الحياة . . الدور الذي يجب أن يقوموا به . . . نحن لا نطلب منهم إن يكونوا كأبن أبي ذرالغفاري الذي مات وحيداً غريباً لم يكفنه سوى ثوبه الخلق عند ما طارده الأمراء والخلفاء . . لأنه - كما يزعمون - أراد أن يطوح بملكهم الفاجر وأن يكون مال الناس للناس . . . لا لقيصر ولا للشيطان . لا نريد منهم أن يكونوا كذلك فنحن أدرى بأنهم لن يستطيعوه . . ولكننا نطلب منهم أن يقولوا . . هذا حق . . وهذا باطل . . لا هذا باطل حيث يكون حقاً . . ولا حقاً حين يكون باطلا . . . وما أكثر ما قالوها . وما زلت أذكر ذلك الذي وقف خطيباً يوم عيد فقال ما معناه بأن هذه الجرائد مفسدة . . وإنها تعلم قارئها الفسق وتقوده إلى سبيل الغواية . . . !! .

وما زلت أذكر ذلك الشيخ الوقور الذي يجلس كل ليلة في جمع من الناس ليصب في آذانهم قصيدة عامرة بألفاظ السباب والشتائم . . . وفيمن . . ؟ .
في المرحوم محمد عبده . . . ! !
الرجل الذي ظهرت أسمى ملكاته في فهم وتفسير القرآن الكريم . . .
هذه هي حال علمائنا ومرشدينا وأئمتنا . . .
دعوة إلى الفقراء والتواضع والجوع والحرمان . .
دعوة إلى نبذ الحياة الدنيا والبصق عليها . . .
دعوة إلى الصوفية المهلهلة والإتكالية الخاضعة .
دعوة إلى الذل والعبودية والإستجداء .
وفاتهم إن الفقر لم يكن تواضعاً في هذا الزمن .
وفاتهم إن الجوع والحرمان لا يقودان إلى الجنة . . لأنهما يقودان إلى الموت .
وفاتهم إن البصق على الحياة الدنيا هو جريمة يرتكبونها في حق الله الذي أوجد هذه الدنيا . . وأوحدهم فيها . . . فاتهم كل ذلك .
ومد . . . مرة ثانية
إن اللوم لا يقع على العلماء بقدر ما يقع على المسئولين . . . هؤلاء المسئولين الذين لم يحاولوا في يوم من الأيام إن يرسلوا نفراً من الشباب إلى الأزهر ليلموا بشئون الدين كما يجب أن يلم به عالم متضلع متمكن . . وليكونوا

كما يجب أن يكون عليه العلماء من قوة مستمدة من قوة الله ومن إيمان بالوطن وبالأمة مستوحى من الإيمان بالله . . . ومن عقيدة راسخة تقف أمام الجبروت والطغيان تنبع من قلب يفهم الحق والواجب على أنه حق وواجب لا مبالاة ونفاق وتضليل .

العدد ٣٠
السنة الثانية (٥ مارس ١٩٥٤) ص٣

رواسب الزمن . . . أيضاً

حين كتبت رواسب الزمن في العدد الماضي لم يكن ليغرب عن بالي إنني ألمس علة مزمنة من علل مجتمعنا . . وما كان ليغرب عن بالي أيضاً إنه يثير حفيظة بعض النفوس ممن لا يعجبهم مثل ذلك الكلام الصريح الجريء . . وصدق حدسي فقد توالت علي رسائل عديدة من أفراد عديدين وبعض هذه الرسائل يحمل التأييد والتحبيذ لما كتبت وبعضها حمل في شدة وعصبية على ما جاء في ذلك المقال .
وفي غير هذا المكان من هذا العدد بعض هذه الرسائل وأحسبها أكثرها منطقاً وأوفرها اتزانا . . آثرت نشرها لا ناقش أصحابها الحساب ولأدلل له على أن ما قالوه لم يكن إلا نزوة عاطفة لا يمكن أن تثبت أمام الحق وأمام اليقين .

وأذن فلصديقنا الرجعي . . . ولصاحب الفضيلة ، ولا مثالهما من الرجعيين أوجه هذه الكلمة لعل فيها ما يحول أفكارهم تلك إلى ما يجب أن تتحول إليه . . ولعل فيها ما يدحض حجتهم ويقنعهم بالدليل والمنطق إلى ما ذهبت إليه من أن علماءنا ما زالوا لا يفهمون الدور الذي يجب أن يقوموا به في مجتمع مريض مكدود وتتناوشه الأدواء وتأكله العلل وتفني حيويته الفاقة وتحني هامته العبودية . . . في مجتمع لهذا لا نحتاج إلى من يقول لنا : أيها الناس أتقوا الله . . . أيها الناس : تواضعوا . . أيها الناس : صوموا . . . أيها الناس : حجوا بيت الله الحرام . . أجل لا نحتاج إلى من يقول لنا ذلك بقدر ما نحتاج إلى من يقول لنا . . أيها الناس : لقد كان نبيكم محمد ذا عقيدة جبارة لم تهي ولم تضعف . . كان يحمل عقيدته أينما ذهب يصارع بها الظلم . . ويصارع بها الجبروت . . ويصارع بها الوثنية . . وأنتم أيها الناس يجب أن تكونوا ذوى عقيدة كتلك ليمكنكم أن تحاربوا الظلم والجبروت والطغيان بسواعدكم حيث يمتد الساعد . . . وبقلوبكم حيث تتحمل القلوب

إن حياتنا على الأرض ليست دينا كلها حتى يطلب منا أن نصوم وأن نصلي وأن نحج . . ولا شئ غير ذلك . . وأذن فأين الحكمة في هذا الحديث الشريف : أعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً . . . وإعمل لآخرتك كأنك تموت غداً

وإذا جاء بعد ذلك من يقول لنا : الحمد لله رب العالمين . . . وأتقوا الله . . وصلوا على محمد (ص) واللهم أنصر جيوش المسلمين . . إذا جاء من يقول لنا هذا الكلام فإن علينا أن نقول له : أقعد في بيتك حيث أنت وأرح نفسك من العناء والنصب . . وأرح الناس من الإستماع إلى هذا الكلام الذي بلي من كثرة ترداده . . والذي فقد معانيه السامية لكثرة ما لا كته الألسن وعلكته الأحناك .

إن صلاة الجمعة ليست طقوساً دينية تؤدي في حينها ثم ينتهي كل شئ بإنتهائها . . . وخطب الجمعة ليست رسما هندسياً حدد ضمن خمسة شروط لا تتعداها . . إنها شئ أكبر من ذلك واضخم وإن المكان الذي تلي فيه لأكثر فعالية وأقوى حيوية من أن يكون مكاناً يجتمع فيه ليصلي فقط ولا غير .
ففي المسجد كان النبي يلتقي بأصحابه ليتشاور وأياهم في شئون دنياهم ، بالإضافة إلى شؤون دينهم : وفي



المسجد كان أبن الخطاب يضع خطط غزواته وحروبه . . . وفي المسجد كان سعد أبن أبي وقصا وخالد بن الوليد . وجميع قطاحل الإسلام يلهبون الشعور ويوقظون الحمية لقتال أعداء الإسلام ومصارعة قوى البغي والطغيان أينمساجدنا . . وأين علماؤنا من كل ذلك ؟ ترى هل وقف الإسلام عند حد أتقوا الله وأنيبوا إليه ؟ وآتوا الزكاة وحجوا البيت الحرام ؟ لو قال قائل نعم لإتهمته بالغي والضلال والمروق عن الدين .

وإذ قال "الرجعى المتطرف "بأن حضور الجمعة واجب : فلن نرد عليه عكس ذلك لأننا نعرف وجوب حضور الجمعة . . ولكنه إذا قال بأن الخطيب يجب أن لا يتعدى في خطبته الشروط الخمسة التي وضعها – ولا ندري من أين أتى بها – لقلنا لـه : هنا يجب أن نقول لك قف لأنك بذلك تقف بالعجلة حيث يجب أن تدور ولأنك بذلك تحاول أن تميت العناصر الحية في هذا الركن من أركان الدين . .

ما جدوى خطبة الجمعة إذا كانت لا تدعونا لشيء غير الصلاة والصوم في أسلوب جاف عتيق ، ثم هل يحسب علماؤنا إن الإسلام لم يأت إلا ليوطد أركان الدين وحسب . . . حتى ولو كان هذا على حساب الكرامة والإنسانية ؟ وإذا كان الشعب يعاني أزمات في خلقه وأزمات في حريته وأزمات في ماليته فهل من المستساغ أن نقول لهذا الشعب صل بالليل وصم بالنهار . . . حتى ولو مت جوعاً . . حتى ولو داستك نعال المستعمر . . . حتى ولو نهب بلدك الأجانب . . حتى ولو ضربك الإقطاعيون بالسوط . . . حتى ولو لعب زعماؤك بمقدراتك ومصائرك ؟ إن أمة هذه حالها لا يمكن أن تصيغ السمع لما يقول دعاة الرجعية وأبواق الجهل .

إن مهمة العالم لا تقتصر على الدعوة إلى الصوم والصلاة . . في الوقت الذي يشرد فيه أبناء الوطن . . . وتؤكل فيه خيرات الوطن . وإلا كان عالماً يفتقر إلى الكثير من العلم وإلا ستزداة منه . والإسلام ليس صلاة وصوماً . . إلى آخره . . ولا شئ بعد ذلك .

يخطئ كثيراً من يفهم الإسلام على هذه الصورة والعالم الذي لا يأتي لنا بشيء غير ذلك محدود الإدراك ضيق الفهم .

وتاريخ الإسلام يحفل بأكثر من قصة لاكثر من عالم حاول البغي أن يثنيه عن دعوته . . . وحاول الطغاة أن يحدوا من حريته فما تزعزع وما وهن . . . بل مضى في سبيله يدوس الشوك ويصارع الطغاة ويقف في وجه المستبدين العتاة وكل سلاحه في ذلك علم مستنير واثق لا علم غبي جاهل .

ثم ليقل لنا صديقنا " الرجعى المتطرف " ماذا أفاد علماؤنا طيلة السنوات الماضية من خطبهم ؟ وهل غيروا الأوضاع ؟ هل غرسوا الدين في نفوس الناس ؟ هل أزالوا الفسق والفجور ؟ هل أصبح الناس كلهم مصلين قانتين ؟



أبداً . . بل العكس هو الصحيح فلقد زادت موجة الفسق والفجور وتحللت الأخلاق . . وأنحسرت عن النفوس تلك الطبقة الرقيقة من الحياة والكرامة . . وانهار كل شئ في بناء هذا البلد . . تلك هي النتائج التي توصلنا إليها رغم كل تلك الخطب طيلة كل تلك السنوات . . فهل نلام بعد ذلك إذا طالبنا الخطيب بأن يتخلى عن خطب القرون الأولى . . وأن يترك السجع جانباً وأن يدرس مشاكل بلاده وأمنه وأن يشعل في النفوس - إذا أحتاج الأمر - الغيرة والحمية والكرامة . . . وأن ينشر دعوة الحق والإخاء والحرية والمساواة بيقين ثابت وعزيمة أكيدة . . . وأن لا يلين أمام قوي الطغيان . . . وأن يصرخ في وجه الظلم بما أوتي من قوة . . وأن يعلم الناس كيف أن أمهاتهم ولدتهم أحراراً ولا حق لأحد أن يستذلهم أو يستعبدهم وأن يرينا الطريق إلى السعادة الحقة . . السعادة التي يمكننا أن نصل إليها إذا ما أستطعنا أن نضمن أن خيرات بلادنا لا تذهب أدراج الرياح . . ولا تدخل في جيوب المستعمر . . ولكنها تدخل في بطوننا الخاوية . . وفي جيوبنا الخالية . .

ولنكن أكثر جرأة فنقول بأن أحداً من علمائنا الأفاضل لم يقرأ محمد عبده ولا جمال الدين الأفغاني ولا سيد قطب ولا أي كاتب أو عالم من علماء العصر الحديث ممن أرتفع بالإسلام - عن طريق كتبه ومبادئه ___ إلى الذروة التي يجب أن يرتفع إليها دين كهذا الدين . . أن كل ما قرؤوه ويقرؤونه لا يتعدى المصنفات القديمة . . ورغم إحترامنا لبعض هذه المصنفات إلا إننا لا نجد فيها كل ما نبغيه في عصرنا الحاضر من دعوة إلى التحرر وإلى معالجة مشاكلنا ضمن منطق سليم ناضج . . وأن كل ما فيها لا يتعدى أن يكون شرحاً وتفسيراً للمشاكل الدينية لا غير . . ومن هنا نبتت مشكلة أئمة الدين . . المشكلة التي لا يمكن أن تحل إلا إذا درسناها على ضوء إحتياجاتنا وما تتطلبه حياتنا الحاضرة من تجديد شامل في كل ما يمت إليها بسبب . . ولن يتم ذلك إلا إذا فهم علماؤنا وظيفتهم تمام الفهم والإدراك وإلا إذا حاولوا مسايرة الركب مسايرة واعية مدركة مؤمنة تنبع من قلب مؤمن مدرك مقدر لخطوات الزمن وتعاقب الأحوال والظروف .

ولا أحسبني في حاجة بعد ذلك لأن أطلب من جل علماؤنا إن يحسبوا حسابهم وأن صيخوا السمع لهذه الدعوة الصادقة وأن يلبوا دواعي الواجب فيقولوا للباغي لقد بغيت . . . وللظالم لقد ظلمت . . . وللمجرم لقد أجرمت

وإذا تم ذلك فلن نتهمهم بعد هذا بالتخلف عن الركب وسنكون من أول المشيدين بأعمالهم وتراثهم . . وسيجدون هم أنفسهم أن المسجد لن يخلو من الشباب ، كما هو واقع الآن . . الشباب الذي سيدرك أن الوقت قد حان ليعمل ما في طاقته ليهيئ السبيل إلى الحياة التي يجب أن ينشدها بلد حر أبي .

العدد ٣١
السنة الثانية (٢٦ مارس ١٠٥٤م) ص ٣

جـــريدة الـــــوطن

نقاط فوق الحروف . . . (الخليج الذي بدأ يتثاءب)
نقط فوق الحروف . . . (حساب الرقابة)

نقاط فوق الحروف . . . (الخليج الذي بدأ يتثاءب)

أنا سعيد هذه الأيام
سعيد لأنني أيقنت أخيراً بأن هذا الخليج العربي لم يعد كما كان يريد له أعداؤه . . أمارات متفرقة . . وأحاسيس متباعدة . . وشعوبا كل شعب منها يسير في اتجاه آخر . . بل أصبح وحدة متماسكة متراصة يتفاعل في ثورة زاخرة بالأحاسيس المشتركة والآلام الواحدة التي تربط كل جزء فيه ببعضه الآخر ، برباط الإيثار والتضحية والبذل . .

وأنا سعيد . . لأن أنة ألم أنطلقت هنا في البحرين . . فتلقفتها الآذان الحساسة في الشقيقة الكويت وصاغتها لحناً حنونا سكبته في الآذان التي لم تتعود في حياتها إلا سماع الولولة الحزينة الباكية وهي تمتزج بآهات المصدورين وأنات البائسين .

وأخيراً أنا سعيد . . لأننا عرفنا أخيراً من هم أعداؤنا . . ومن هم أصدقاؤنا . . وأعداؤنا هم كل أولئك الذين كتبنا لهم نستجديهم درهما نعالج به مسلولا في مراح ، فرد بعضهم بأنه ليس من سياسته أن يساهم في المشروعات الخيرية لأنه يمثل مؤسسة إنجليزية . . ورد بعضهم يتمنى لنا النجاح في عبارة رقيقة مهذبة لم نقبض من ورائها على الهواء . . وبعضهم الآخر لم يكلف نفسه حتى مشقة الرد . . وأصدقاؤنا هم كل أولئك الذين قرأوا النداء ففاضت أحاسيسهم بشعور المواطن المخلص الذي يتمنى الخير والصحة لبني جنسه . . هؤلاء كثيرون . . ولا أريد هنا فقط أن أقرر هذه الحقيقة . . فإن كل نفسه في هذا البلد يعرفها وهي التي أعلنت عن نفسها وما زالت تعلن في الرجل الأبيض الذي دأبنا على نشره منذ أن كانت هناك لجنة لمكافحة الدخول في هذا البلد . . ولكني أريد أن أعلن عن شئ جديد . . شئ يحدث لأول مرة في تاريخ الخليج . . يحدث في صمت ودون ضجيج أو تطبيل .

وتعالوا نقرأ معاً الرسالة التالية وهي من صديق عزيز في الكويت :
" أخي الفاضل سكرتير لجنة مكافحة السل علي سيار المحترم تحية واحتراماً وبعد لقد كنت أفكر دائماً في أن أقوم بمشروع مساعدتكم تجاه مكافحتهم السل في البحرين ، وقد واتتني الظروف أخيراً ورأيت أن الأمر لا يدعو إلى التأخير سيما عندما قرأت ما نشر في العدد الماضي عن شركة الطيران البريطانية وتعليقكم الساخر على رفضها



مساعدتكم بوصفها شركة بريطانية حكومية .. وقد تكلمت مع السيد يعقوب يوسف الحمد بهذا الصدد فرحب بالفكرة أشد الترحيب ، وسرعان ما طفنا ببعض تجارنا الكبار كبداية حسنة للتبرع .. وقد تبرع كل منهم بما تفرضه عليه وطنيته وأريحيته ولم يمر يومان حتى كنا قد جمعنا مبلغ سبعة عشر ألف وخمسمائة روبية .. كل ذلك خلال يومين .. وعسانا أن نوفق إنشاء الله في جمع المبلغ الذي يتفق وإمكانيات الكويتيين ... الخ ... الخ أخوك صالح شهاب " وهكذا يضرب إخواننا الكويتيون أروع مثل في مجال الأريحية والكرم .. وليس بغريب منهم ذلك فقد كانوا وما يزالون السباقون في مثل هذه المواقف المشرفة .. وبقيت كلمة أخيرة .. أريد أن أوجهها لأولئك المخدوعين بالشركات الإنجليزية .. كشركة جرى مكينزي وشركة قطر وشركة بابكو .. وبقية الشركات التي تأخذ منا كل شئ .. ولا تعطينا حتى شروى نقير ...

لقد كتبنا لكل هذه الشركات نطلب منها العون المادي ولكن بلغ من إستهتار بعض هذه الشركات أنها لم ترد علينا .. مجرد رد فقط .. ومعنى هذا .. معناه بالعربي الفصيح .. إنها لا تعترف حتى بوجودنا .. وليقرأ هذا الكلام كل إنجليزي مسئول وغير مسئول التقيت به وذهب يتحدث معي عن الخير الذي يغدقه علينا الإنجليز .. وعن الصداقة التي يتبجح بها الإنجليز ..

وبعد .. كنت أود أن أكتب الكثير عن هذا الموضوع .. ولكن المطبعة وهي تهدر لا تدع مجالا للتطويل .. ولكن لي إنشاء الله عودة لفضح مساوئ هذه الشركات الإنجليزية ..

وشكراً لإخواننا الكويتيين أشقائنا ... وسندنا في الملمات .. وكل ما نرجوه هو أن تتاح لنا الفرصة لرد الجميل ..

أين عدالة السماء .. ؟

ما تلبدت السماء بالغيوم في يوم من الأيام وما أنذرت هذ الغيوم بالمطر .. إلا وقفزت إلى ذهني أبشع صورة للبؤس الذي يأكل الأجسام الطرية .. ويلين الأعواد الصلبة .. إخواننا الذين يسكنون في العشش .. وينامون فوق برك الماء .. ومستنقعات البعوض .

وفي هذا الأسبوع تثاءبت السماء التي لا ترحم .. وأفرغت ما في جوفها من ماء .. وأحالت كل شبر في المدن إلى بحيرات صغيرة لم تستطع جهود البلديات أن تزيحها أو أن تقلل من تجمعها .. وأمس مررت فيطريقي بقصة صغيرة من هذه القصص التي تكون في مجموعها مأساة الأمطار عندنا ...

قصة رجل يحمل على كتفيه ثقل ستين عاماً مضنية سوداء .. وكوخ مهدم .. وزوجة مقعدة كسيحة وصبية في عمر الورود .. وماء غزير تسلل في عناد وإصرار من



بين ثقوب الكوخ ليحيل كل جزء فيه إلى شئ شبيه بالمأساة .. أو بالمأساة نفسها ..

ورأيت الرجل يكافح في يأس من أجل كوخه .. ورأيت الصبية وهي تقاوم البرد اللاذع وفي يدها علبة صفيح صدئة ، تغوص في الوحل لتزيح حفنة ماء لا تفرغها في الناحية الأخرى حتى تسكب السماء مائة مرة قدر ما أزاحته .. ورأيت الزوجة المقعدة الكسيحة وهي تجلس فوق حصيرة مهلهلة تحاول أن تتقي البرد والمطر بيديها الراعشتين .. وثيابها التي حسبتها في هذه اللحظة تقهقه في سخرية من هذه المرأة التي تحسب نفسها أنها تلبس ثياباً .. بينما هي في الواقع لا تلبس إلا العرى والفاقة ..

ووقفت أتطلع إلى هذه المجموعة الشقية وهي تصارع القدر .. ولم أحس ببشاعة المنظر في حياتي قدر ما أحسست به في تلك اللحظة .. ووجدتني أتساءل في سخرية مريرة : ما ذنب هؤلاء .. ما ذنبهم حتى يجتـروا أنـفاسهم (الرخيصة) مشبعة بهذا الهوان ... وهذه الوردة الطرية .. ماذا جاء بها إلى هذه الدنيا السوداء الكي تزاول مهنة البؤس كما زاولها ويزاولها أبوها .. وكما يزاولها الألوف المؤلفة من أبناء هذا الشعب الكادح المسكين .. ؟ وما ذنب هذه المرأة الشاحبة لتقضي عمرها هكذا في صراع مع القدر والحياة ؟ .. ثم ما نتيجة هذا الصراع لا تتكافأ فيه الإمكانيات ؟ ..

وكدت أكفر بالقدر و بالسماء .. وبالناس .. وأنا ألقى بالسؤال العاصف إلى نفسي .. ؟ لماذا لا تنزل هنا في الأكواخ .. ولماذا لا يتكلم عن تلك العدالة إلا أولئك المترفون الناعمون .. و .. و .. وتلقفت أذني في تلك اللحظة نداء متعب مكدود قطع على أفكاري ..

– سيدي .. هل من مكان نأوي إليه .. ؟
وكان ذلك هو صوت الرجل الذي طحنته السنون .. وجاء القدر ليطحنه في صورة سيول غامرة في آخر أيامه ... وتطلعت إليه في شرود ذاهل .. وأنا أحبس دمعة كاوية إنسابت على خدي .. وكان ذلك كل ما قدمته .. مجرد دمعة .. هي كل ما أملك لهؤلاء الذين ينتسبون إلى بني آدم ..

العدد ١٨
السنة الأولى (١٦ ديسمبر ١٩٥٥م) ص ٢



حساب الرقابة . . .

إن وراء كل سطر يكتب في هذه الجريدة قصة . . ووراء كل قصة مأساة تعيش فيها صفحات الجريدة . . . ونعيش فيها نحن . . ومن وراء هذه المآسي تتلقفنا ألسنة السوء وتضفي علينا من النعوت ومن الأوصاف ما نحن براء منه . . فمنذ أن صدرت (الوطن) وكل كلمة تكتب فيها يجب أن يناقشها أربعة . . هؤلاء الأربعة هم الذين يضعون لها إمتحاناً دقيقاً لا يجتازه حتى شياطين الجن . . وتخفق معظم الكلمات – بطبيعة الحال – في إجتياز الإمتحان وتخرج الكلمات في طابور طويل من الأسطر والأعمدة والصفحات تخرج محكوماً عليها بالإعدام . . ومقضي عليها بالموت . . تخرج كئيبة حزينة منكسة الرأس تنتظر دورها في الملف الأسود حيث لا ترى النور . . . ولا يراها النور . . . الملف الذي كتبنا عليه " مواد حذفتها لجنة الرقابة "

ومرت فترة من الوقت ونحن نكتب . . وثمانية أعين حمراء تسلط أضوائها الحارقة فوق السطور التي كنا نكتبها بدم أعصابنا . . وتذوب الصفحات تحت النظرات الكاوية ويختفي في لحظة كل سطر كتبناه ليبرز على أشلائه خط عريض أحمر يحمل شارة الخطر ويحمل أكثر من معنى . . معاني التحدي والإستفزاز . .

وكانت هذه الفترة كافية لأن تعلمنا بأننا سنعاني الويل ، بل ما هو أكثر من الويل إذا كنا نريد لصحيفتنا أن تعيش . . وإذا كنا نريد لأسمها أن يظل عالقاً بالأذهان . . وفضلنا الويل والتعب على أن نوقف الصحيفة مع ما في إيقافها من راحة بال وطمأنينة خاطر . وبعد فان لي رجاء إلى لجنة الرقابة . . . رجاء أن تسمح اللجنة لهذا المقال أن يرى النور دون أن يتعرض له قلمها الأحمر . . وأنا أرجو ذلك لا لشيء . . إلا لأن المحكوم عليه بالإعدام عادة يعطى الفرصة لأن يقول ما يريد . . وأن يتمنى ما يريد . . . وصحيفتنا بوضعها الحاضر محكوم عليها بالإعدام .

الأرواح التي تفقدها كل سنة

منذ أيام كنت أعبر طريق عوالي برفقة بعض أصدقائي . . كانوا خمسة وكان الوقت ليلاً . . . والهواء الناعم يدغدغ أعصابنا . . والأرض الطينية تنطوي من تحت عجلات السيارة . . لحظات ممتعة مليئة بأكثر من نشوة وأكثر من سبب من أسباب السعادة وكنا نضحك من كل شئ . . من الشخص الذي أنحشر في المقعد الخلفي بين حائطين بشريين سدا عليه المنافذ الهوائية وكاد يختنق . . . ومن الحائطين البشرين نفسهما وهما يبديان من الحركات ما ينم عن إنهما متضايقان من وجود هذا الشيء الظليل بينهما الذي هو صديقنا . . وكنا نضحك حتى من أنفسنا . .

وأنا من أولئك الذين يتوقعون دائماً مصيبة حينما يتجاوز ضحكهم حد المعقول . . ولي في هذا الشأن قصص كثيرة . . وآخر مرة أذكر أني ضحكت فيها كثيراً كانت في لبنان في السنة الماضية . . أو على وجه التحديد في الليلة التي كنت أعتزم فيها مغادرة لبنان وأذكر إنني ضحكت حينئذ حتى كادت أن تتقطع رئتي . . ومرت ساعات على الحادث وقربت اللحظة التي سأغادر فيها لبنان . . وكنت طيلة تلك الساعات أطلب من أصدقائي أن يدعو الله أن لا تقع بي الطائرة فان الطاقة التي أستفدتها في الضحك لا تنبئ عن خير أبدا ولا أطيل فقد حل شئ مشبه بالمصيبة . . لم تقع الطائرة . . ولم يصبني أنا نفسي مكروه . . ولكني فقدت في آخر لحظة جعبتي التي كنت أضع فيها كل ما لدى من ملابس وهدايا وطارت بي الطائرة من لبنان إلى البحرين وأنا لا أملك إلا ملابسي التي فوق بدني وبضع ليرات لبنانية . . وعلبة سجائر أستنفذت نصفها في المطار قبل أن تقوم الطائرة باحثاً عن الحقيبة الضائعة .

تـذكـرت هـذه القصة وأنـا أشارك زملاء السيـارة المرح والضحـك (والتريقة) على عباد الله . . وأوشكت أن أقول للزملاء بأن يكفوا عن الضحك وأن لا يشغلوا الزميل الذي كان يسوق السيارة عن الطريق بنكاتهم وضحكهم وغمزاتهم . . ولكن القدر كان أسبق مني إلى ذلك فقد وضع هو نفسه نهاية لهذه الضحكات الصاخبة التي كانت تمزق سكون الليل الهادي الجميل . . . فقد فاجأنا في الطريق منظر لا أظنني أنساه أبداً . . منظر سيارة صغيرة وهي جاثمة على جانب من الطريق بعد أن دارت على نفسها وعلى ظهرها دورتين كاملتين . . وأربعة أشخاص أنصاف أحياء تتقاطر من أفواهم الدماء وهم يحاولون أن يتشبثون بالخيط الرفيع الذي يشدهم في ضعف إلى الحياة . . بعضهم قذفت به السيارة بعيداً عنها ففقد الإدراك . . وبعضهم ألقت به أرضاً وكسرت ساقه . . وبعضهم الآخر فقعت له عينه . . ونظرت إلى التراب الأحمر الذي كان يمتص دماؤهم في بطء قاتل . . وإلى وجوهم التي أحالتها اللحظة الرهيبة . . لحظة إنقلاب السيارة إلى شئ شبيه بوجوه التماثيل . . والى ملابسهم البيضاء وقد تحولت في لحظات إلى خرق مبلله بالدم الأحمر القاني وتيقنت أنني أمام منظر مرعب مؤثر منظر أربعة أشخاص يفور الشباب في عروقهم وهم يجترون أنفاسهم في مشقة وعسر كأنما أرواحهم تصعد إلى السماء .

وكانت لحظة رهيبة لم أمر بمثلها في حياتي . . رغم أن مثلها يحدث بإستمرار وهو وإن لم يكن يحدث كل يوم فكل أسبوع أو أسبوعين . . وتذكرت أول ما تذكرت ونحن نغادر المكان بعد أن زاد عددنا شخصاً . . هو أحد المصابين . . تذكرت دائرة قلم المرور وتمنيت لو أستطعت أن أجد الطريقة التي تمكننا من أن نتفادى بها مثل هذه الحوادث لأهديها إلى قلم المرور في تواضع وإخلاص . . وكانت الأمنية عاصفة في نفسي فرحت أتلمس في المقاهي والأندية الخيوط التي يمكنني أن أنسج منها هذه الهدية . . وخرجت من كل ذلك بالإقتراحات التالية أقدمها إلى قلم المرور . . وكلي أمل في أن ينفذ ما يراه صالحاً لحماية أرواح الناس . أرواح السائقين وأرواح العابرين . .

١ – تعيين مراقبين من البوليس في الشوارع الرئيسية لمراقبة سرعة السيارات وإعطاء تقارير يومية عنها للمسؤولين وقد يكون من المستحسن إعطاء هؤلاء المراقبين سلطة
سحب أي رخصة للسياقة من أي شخص يسوق سيارته بتهور .



٢ – وضع ضابط للسرعة GOVERNOR على مكائـــن السيارات للتعليم والإيجار بحيث لا تزيد سرعتها على أربعين كيلو .

٣ – وضع لوحات كبيرة على الجدران وفي طريق عوالي تبين أوجه الخطــر في السياقة السريعة . . على أن تكون هذه اللوحات مغرية وجذابة بحيـث تستهوي النظر .

٤ – عدم منح رخصة لمن يقل عمره عن عشرين عاماً وذلك لأن الملاحظ أن معظم الحوادث بسبب من أناس تقل أعمارهم عن هذا السن .

٥ – بعض السيارات لا تحمل أرقاماً مما لا يتفق والنظام مـــن جهة ويفقدها علامة التمييز من جهة ثانية . . ومراعاة ذلك . . وقف مثل هـذا التصرف من قبل المرور ضروري جداً .

٦ – وأخيراً كلنا يعرف أن معظم حوادث المرور تقع في شارع عوالى والذي أراه لتقليل الحوادث هناك هو أن يعين شرطيان من سائقي الدراجات النارية يعملان في وقتواحد ويكون سير كل منهما معاكساً للآخر وذلك لتعقب أية سيارة تخالف لوائح المرور وأنظمته ، ولفحص أية سيارة يشك في إنها للتعليم والإيجار وملاحظة وجود ضابط السرعة على آلتها . . وللإبلاغ عن الحوادث في حينها بحيث لا يدعان مجالاً لهرب الجاني في حالة إرتكابه ما يعاقب عليه القانون من دعس وغير ذلك . . علىأن يستبدل هذان الشرطيان كل ثلاث ساعات .

وبعد . . . .
هذه بعض الإقتراحات المتواضعة جمعتها من أصدقائي هنا وهناك أضعها أمام قلم المرور . . . خدمة للمصلحة العامة ومحاولة مني لوقف سيل الحوادث الكثيرة التي تفقدنا كل سنة أرواح العشرات من الأثرياء . .

وإنني على يقين بأن قلم المرور يرحب بأية إقتراحات من هذا النوع ولهذا أناشد القراء الكرام أن لا يضنوا عليه بإقتراحاتهم وأفكارهم . . وستكون هذه الجريدة في خدمة الجميع .

– الذين يعملون في الظلام
أستلمت هذا الأسبوع رسالة من أحد القراء أتهم فيها الجريدة بأنها ذات ميول إنجليزية . .



وبأنها ما نشرت خبر سفر المستر لوكس ، السكرتير الثالث لرئاسة الخليج ، إلا لأنها على إتصال وثيق بالجهات الإنجليزية . . وبأن نشر مثل هذا الخبر لا يعني إلا أن الجريدة تدافع عن وجهة نظر الإنجليز الذين يمثلهم المسترلوكس . . أحد أعمدة الإستعمار في الخليج . .

هكذا كانت تقول الرسالة :
وأنا لا أريد أن أدافع عن المسترلوكس . . سواء أكان إستعمارياً أم كان ذا عقلية متحررة واعية ولكن أريد أن أقول لهذا المدعي بأن نشر أي نوع من الأخبار لا يعني شيئاً مهما كانت الجهة التي يتعلق بها الخبر وإلا لكان نشرنا نباء إسرائيل وتحركات بن غوريون وتصريحات جي موليه جريمة لا تغتفر . . لأننا نعتبر كل هؤلاء أعداء لنا . . ولأننا نضعهم في رأس القائمة السوداء .

إن الذي لا يفهمه هذا الشخص عن الصحافة إنها المرآة العاكسة لكل ما يجري في محيطها . . ولذلك فإنها يجب أن تعطي صورة حقيقية لآلام وآمال الشعب . . كما يجب أن لا تتهرب من إلقاء الضوء على أية زاوية من زوايا المجتمع مهما كانت الزاوية من البشاعة . .

فإنني كنت أريد أن أقول أشياء كثيرة عن الذين يعملون في الظلام وعن تلك الفئة الآثمة التي تحاول أن تندس بيننا لابسة مسوح البراءة والسذاجة . . وهي من أعماقها ليست أكثر من طفيليات تحاول أن توقف الركب السائر في طريق النور والحرية . . ولكنني أمسك عن ذلك في هذه اللحظة بالذات – وقد لا يبعد اليوم الذي أكشف فيه جميع الأوراق . . والقى في وجوه أولئك بالقفاز . .

أتمنى

- أن لا أرى وجهاً غريباً بين أفراد الشرطة .
- أن تتاح لي الفرصة لأضرب شخصاً معيناً في سوق الأربعاء .
- أن يفهم القراء الصعوبات التي تلاقيها هذه الجريدة . . وأن يقدروها إذا وجدوا بعض صفحاتها هزيلة ميتة .
- أن يقرأ القراء ما بين السطور . . .
- أن أرى مصرفاً عربياً يسيطر على المعاملات التجارية في البحرين بدل من البنك البريطاني والبنك الشرقي .
- أن يكون عند شركة جرى مكنزي قليل من الذوق فترفع ساريتها التي تعلو على أية سأريه حكومية .
- أن أرى الوئام والإتفاق يسود بين الحكومة والشعب .

العــــدد ٢٣
السنة الأولى (١٨ مايو ١٩٥٦) ص٢



صدى الأسبوع

- قبل أن نطفئ الشمعة الأولى
- الانتخابات القادمة . . النزاهة والإيجابية ركيزتا نجاحها
- الثلاثون من سبتمبر ١٩٦٩م
- الصوت العالي
- أدباء صحفيون
- عصر البطيخ يولد من جديد

قبل أن نطفئ الشمعة الأولى

بعد بضعة أسابيع ستكون « صدى الأسبوع « قد أنهت سنتها الأولى . . وهي سنة كانت حافلة بالكثير من التجارب . . من هذه التجارب ما كان مريرا كالعلقم ومنها ما كان حلوا كالشهد . . وفي كلتا الحالتين فقد كنا نسير على الطريق الصحيح .

ولعلنا لا نعدو الحقيقة إذا قلنا بأننا قد أرسينا – في « صدى الأسبوع « – دعائم جديدة للعمل الصحفي في البحرين لم تكن موجودة قبل صدور (صدى الأسبوع) . . وهذا الكلام ليس من باب (عبادة الذات) ولكنه حقيقة واقعية . . فقد استخدمت « صدى الأسبوع « الكاريكاتير بصورة رئيسية للتعبير عن آراء معينة إزاء بعض المشاكل التي يعاني منها مجتمعنا سواء كان ذلك على المستوى المحلي أو على المستوى الإقليمي . . واحيانا على المستوى العربي . وهذا كسب للبحرين فلأول مرة يصبح الكاريكاتير موضوع الغلاف في صحيفة تصدر في البحرين . . كما أنه ولأول مرة يصبح الكاريكاتير موضوع الغلاف في صحيفة تصدر في البحرين . . كما انه ولأول مرة في البحرين أيضا تهتم صحيفة محلية بناحية الإخراج الفني إذ كان السائد قبل صدور (صدى الأسبوع) أن الإخراج الفني للجريدة هو آخر ما يمكن أن يفكر فيه العاملون في حقل الصحافة المحلية .

قبل ذلك وفوق ذلك كله فقد امتازت (صدى الأسبوع) بأنها كانت أول صحيفة تصدر محلية وتهتم بالأخبار المحلية بصورة رئيسية ومركزة . وقد أعطى ذلك انطباعا عاما لدى القارئ أينما كان العالم بأن « صدى الأسبوع « تصدر في البحرين وليست في أي بلد آخر .

ولقد كان منبع اهتمامنا بالتركيز على الأبحاث المحلية هو أن القارئ البحريني يجب أن يعرف ماذا يحدث في بلده في الدرجة الأولى .

ويأتي في الدرجة الثانية اهتمامه بمعرفة ما يحدث في الوطن العربي وفي العالم الخارجي . . ورغم صعوبة الخط الذي انتهجناه لأنفسنا من أننا يجب أن لا نقدم للمواطن البحريني إلا ما يتناول شئونه وقضاياه المحلية أن نعترف بأننا تعثرنا حينا وفوجئنا بمطبات كثيرة أحيانا أخرى . . ولكن كل ذلك لم يمنعنا من أن نستمر في السير على هذا
النهج متوخين تحقيق هدف ليس من السهل تحقيقه . . ألا وهو إبراز وجه البحرين واعطاء الصحافة المحلية وجها محليا كانت تفتقده في الماضي .

ليس معنى ذلك إننا نغض من شان الصحف الأخرى في هذا البلد ، فتلك الصحف أيضا أعطت البناء الصحفي ما لم يتهيأ لغيرها أن تعطيه ، وإنصافا للحق نقول بأننا مشينا في طريق كان قد مهده الآخرون وسعوا في تعبيده ما وسعهم الجهد .

وفي مجال الخطأ والصواب فإننا نعترف بأننا نخطئ أحيانا . . ولكن يعزينا دائما إننا لم نكن نقصد إلا المصلحة العامة ، وأية صحافة ناشئة لا يمكن إلا أن تتعثر في بداية حياتها . . ولكننا نعترف بأن صدر المسئولين في حكومتنا كان ارحب مما كنا نتوقع . . بل لقد كان المسئولون دائما في صف الصحافة عندما تتعرض للنقد أو اللوم . ولا يسعني هنا إلا أن أشيد بمواقف صاحب العظمة حاكم البلاد الذي كان حريصا على الصحافة في هذا البلد حرصه على أبنائه ، ومما لا شك فيه أن توجيهات عظمته في هذا المجال كانت الحافز لنا على الاستمرار كما كانت الدافع لنا على مواصلة السير في هذا الطريق . . رغم وعورته ورغم قساوة شعابه .

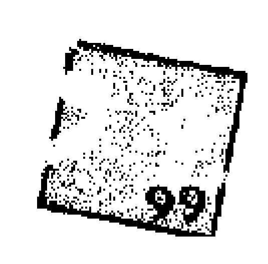
وقد يسأل قارئ : ما هي مناسبة كـل هـذا الكلام عن « صدى الأسبوع « . . ؟
والجواب هو إننا – أسرة التحرير – قد سألنا أنفسنا ونحن نوشك على دخول سنة جديدة من عمر (صدى الأسبوع) : كيف يجب أن نلتقي بالقارئ صباح كل ثلاثاء من السنة الجديدة ؟ بما معناه هل يجب أن تستمر (صدى الأسبوع) في استخدام نفس الثوب الذي كانت تلبسه طوال هذا العام أم أن هناك ما يدعو إلى تغيير هذا الثوب ؟ هذا السؤال واجهنا في الاجتماع الأسبوعي الذي نعقده بعد صدور كل عدد . . ولقد تعددت الآراء حول الموضوع . . فمنا من طلب المحافظة على الشكل والتبويب بحجة أن الثوب ما زال جديدا وان هناك بعض النسوة من يستعمل الثوب الواحد أكثر من سنتين . . وبعضنا الآخر كان يرى أن تغيير الثوب ضرورة تحتمها عملية التطوير المستمرة . . وان البقاء على القديم لانه قديم أمر لم يعد مقبولا في عالم يتجدد دقيقة بدقيقة . . وطبعا لم نصل إلى حل فقد تشبث كل منا برأيه . . وكان آخر ما توصلنا إليه هو أن نطرح الموضوع برمته على القراء . . فهم أولى بأن يقولوا لنا ماذا نصنع بعد أن نطفئ الشمعة الأولى من عمر (صدى الأسبوع) في الثلاثين من سبتمبر القادم ، ذلك إنهم هم أصحاب الكلمة الأولى في الموضوع . . « فصدى الأسبوع « لم تكن في يوم من الأيام ملك رئيس التحرير بقدر ما هي ملك للمواطنين من القراء . .

يبقى أخيرا أن نحدد السؤال أو الأسئلة بالشكل التالي :

- هل ترغب في تغيير حجم « صدى الأسبوع « ؟
- وإذا كنت من أنصار تغيير حجمها . . فما هو الحجم الذي تقترحه ؟
- ما هي الأبواب التي لا تعجبك في (صدى الأسبوع) ؟
- ما هي الأبواب التي تقترح إضافتها ؟
- هل من رأيك أن نستمر في استخدام الكاريكاتير على غلاف الجريدة بالشكل الذي تصدر به حاليا ؟
- إذا كان الجواب بالنفي فكيف تتصور الشكل الذي يجب أن يكون عليه الغلاف ؟

الأسئلة نضعها أمام القارئ أملا في أن نجد منه الجواب . . وإلى أن يـقرر قراؤنا الشكل والمضمون اللذيـن يجب أن تكـون عليهما (صدى الأسبوع) سنظل نحتفظ بالشكل الحالي . . وإلى اللقاء عبر الكلمة الجادة والعمل المثمر .

العدد ٤٦
السنة ١٩٧٠م ، ص ١٦
« مرة كل أسبوع «



الانتخابات القادمة

النزاهة والإيجابية ركيزتا نجاحها

أهمية انتاخبات المجلس التأسيسي القادمة تكمن في أنها ستكون أول انتخابات من نوعها في البحرين ، وإنها أول تجربة نخوضها في هذا المجال .. واول تجربة في حياة الشعوب تعنيان آثارها ونتائجها ستكون عميقة في النفوس .. وستظل هذه الآثار – سواء كانت سلبية أم إيجابية – عالقة بالأذهان ، مترسخة في النفوس ، محفورة في القلوب ، متجسدة في الأفعال ، نافذة في الأقوال .

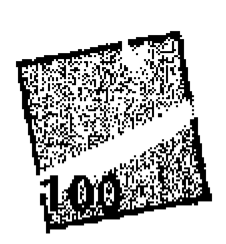
ستكون هذه التجربة المقياس .. مقياس الشعب لمدى جدية الحكومة في الانفتاح عليه ، والتغيير والتطوير اللذين تستهدفهما .

ومقياس الحكومة لمدى قدرة الشعب على تحمل المسئولية في مشاركتها ببناء البلد وتطوير أجهزته وادارة دفة الحكم فيه .

وبما أن منطق التطوير ، والأمل في التقدم يفرضان علينا إلا نتمادى في التفاؤل ولا ننغمس في التشاؤم فان هذا المنطق يفرض علينا القول أن الاستقلال الذي نلناه قبل حوالي عام لم يمح الكثير من الآثار السلبية التي كانت مسيطرة على العلاقة بين السلطة والشعب قبله .. وانه حتى الآن لم تتعزز الثقة الكاملة في قلب السلطة وان وضعنا من هذا النوع لا يمكن اعتباره وضعا صحيا ، من الممكن أن تجري فيه انتاخبات مضمونه النجاح ، وهي الانتخابات التي يريدها ويتمناها كل مواطن مخلص لوطنه ، كما تحرص عليها السلطة وتتطلع إلى الوصول إليها . أن الأمل المعقود على الانتخابات القادمة هو أن تتميز بميزتين : النزاهة والإيجابية . وبعبارات أوضح فانه مطلوب من السلطة التي تعمل هذه الأيام بدأب على التحضير لانتخابات المجلس التأسيسي أن تعمل من اجل هدف واحد محدد وهو أن تتميز هذه الانتخابات بالنزاهة والعدل .. وذلك بأن تكون بعيدة عن أي تأثير أو تدخل أي جهة من الجهات ، وهذا يتطلب من السلطة أن تتخذ العديد من الإجراءات الواقية من التزوير .

وان تدقق في خطوات الأعداد للانتخابات التي تقوم بها الآن لسد كل منفذ يمكن أن يطعن من خلاله في نزاهة الانتخابات والقائمين عليها . ومن واجب المواطن أن يعي الوزن الحقيقي لهذه الانتخابات باعتبارها ستقرر مصيره ، وترسم معالم المستقبل لـه وللأجيال القادمة ، فالدستور هو قانون الدولة العام ، والمجلس التأسيسي هو الذي سيقر هذا الدستور الذي سيكون ساري المفعول إلى اجل غير مسمى ، والذي سيصعب تعديله بعد ذلك .. وعلى ضوء هذا الوعي يحدد موقفه من الانتخابات القادمة ، هذا الموقف الذي يجب أن يكون إيجابيا يقوم على المشاركة فيها والتفاعل معها والإيمان بأهمية نتائجها . انه من الضروري بمكان توفر هاتين الميزتين إذا ما أردنا للانتخابات القادمة النجاح وهذا ما يجب أن نريده فعلا . لكن تحقيق هذه الإرادة – كما قلنا – مربوط بتوفير الجو الصحي المزروع بالثقة ، والمعزز بها . فمن يخطو الخطوة القادمة ؟

العدد ١٤١
السنة ١٩٧١م ، ص٣
« رأي الأسبوع «



الثلاثون من سبتمبر ١٩٦٩

الثلاثون من سبتمبر عام ١٩٦٩م أذكره جيدا هذا اليوم . . ففي الساعات الأولى منه خرج بعض الصبية إلى السوق يحملون في أيديهم أول عدد يصدر من « صدى الأسبوع « .

وقفت على أحد الأرصفة انظر في وجوه الصبية الذين ينادون على (صدى الأسبوع) تارة . . وابحلق في وجوه المارة الذين يستوقفهم – أولا يستوقفهم – النداء الجديد لارى وقعه عليهم تارة أخرى .

الاسم الجديد الذي لم يألف الصبية ترديده يتعثر على ألسنتهم . . بعضهم كان ينطقها صدى الأسبوع (بضم الصاد) . . وبعضهم الآخر (سدا الأسبوع) . . وواحد منهم كان يسميها سدا الاصبوع . . !

ولوهلة – وأنا استمع إلى مدى التشويه الذي لحق بصدى الأسبوع – في أول يوم تصدر فيه – خيل إلى أنني لم احسن اختيار اسم المجلة رغم أن الشيخ محمد بن مبارك الخليفة الذي كان يرأس دائرة الإعلام وقتها – قد شارك في اختيار هذا الاسم بعد أن عرضت عليه أكثر من اسم مقترح اذكر منها (المواطن – الوطن – الرأي) .

أكثر من ذلك شعرت بما يشبه الإحباط . . ولازمني وقتها شعور بالمرارة والكآبة استمر حتى موعد صدور العدد الثاني . . ثم بدأ هذا الشعور يخف تدريجيا بحكم التعود حتى تلاشى تماما عندما بدأت « صدى الأسبوع « تستقطب اهتمام القراء وذلك عبر الرسائل القليلة التي كنت استلمها تعليقا على ما كتب أو شتما لشخصي الذي جرؤ على أن يخرج على الناس بمجلة هزيلة ركيكة . . بل أن قارئا هتف إلي يستحلفني بالله – إذا كنت حريصا على ماضي الصحفي – كما يقول – أن اقفل دكان « صدى الأسبوع « (هكذا يسميها) وان اتجه وجهة أخرى غير الصحافة .
في خضم ذلك ولما يمض على صدور « صدى الأسبوع « أكثر من عددين هرب المحرر الوحيد – وهو عراقي – الذي كان يعمل معي دون أن يأخذ حتى أجرة الأيام التي أمضاها في العمل . . وكان سر هربه هو انه كان علينا – نحن الاثنين – أن نحرر « صدى الأسبوع « من الغلاف إلى الغلاف . . وقد ضايقه ذلك لدرجة لم يجد معها مناصا من أن يهرب ليس من « صدى الأسبوع « فقط . . ولكن من البحرين كلها . . !

تلك كانت البدايات الأولى لصدى الأسبوع . . طموح لا حد له . . وفقر في الإمكانيات هو الآخر لا مثيل له ! ولكن العجلة تدور . . وقفت « صدى الأسبوع « على أقدامها . . اعترف أنها كانت تتعثر . . اعترف أنها كانت تسرع الخطو مرة وأنها كانت تقع على الأرض مرات كثيرة . . ولكنها مع ذلك لم تكن تتوقف عن السير .
في أحيان أخرى كانت تصل الأمور بي إلى أن أفكر في إغلاقها وإغلاق مكاتبها وتسريح موظفها . . حين انظر إلى ديونها المتراكمة في البنوك أو لدى المطبعة . . ولكن ساعة عمل واحدة تحمل مخاض الولادة لعدد

جديد يبدد كل خاطرة من هذا النوع . وعلى امتداد سبع سنوات من التجربة والخطأ كانت « صدى الأسبوع « تبدو أحيانا شابة متألقة .. وأحيانا أخرى كانت تحمل كل أخاديد الزمن وشيخوخته على صفحاتها .. تماما كأولئك الذين عبروا بصفحاتها منذ أول عدد حتى اليوم .

واليوم – بعد هذا العمر الطويل – « صدى الأسبوع « على يد نخبة من زملاء المهنة من أرض الكنانة .. تعود شابة متألقة أنيقة باسمه لتضيف إلى التراث الصحفي في هذا البلد نكهة جديدة ودما – جديدا .. الدليل هذا العدد الذي بين يدي القراء .

العدد ٣٢٩
السنة ١٩٧٦م ، ص ٤٢
« آخر كلمة «

الصوت العالي

علي صالح الصالح .. ما التقيت به قط إلا وكبر في عيني .. فالرجل موسوعة اقتصادية بارزة – ولديه باستمرار – ما يقوله تعليقا على ما يجري في السوق الخليجية أو تحليلا للظواهر الاقتصادية إقليميا وعربيا .. التقيت به قبل أيام – وقليلا ما التقي به – وكالعادة كان حديث عن الأسهم وعن الاستثمار وعن سوق الخليج .. سوق الكويت البحرين بالذات .. وفي يد علي كثير من المفاتيح التي يستطيع أن يفتح لك بها أبواب الكثير من الغاز السوق .. فحركة الأسهم النشيطة هذه الأيام التي دخلها الكل بدءا بالفراش وانتهاء بأرباب الملايين إنما هي عملية توزيع للثروة بطريقة تخلو من عنف الثورات وفوهات المدافع .. وتشجيع هذا النوع من الاستثمار له سلبياته وله إيجابياته .. من سلبياته أن هذا الاهتمام المكثف سيكون على حساب فاعليات اقتصادية كثيرة كالتصنيع مثلا ومن إيجابياته انه يحرك السوق المحلي ويؤهلها لاستيعاب الفوائض المالية المتراكمة في المنطقة .. وعلى رأي أحد الاقتصاديين الكويتيين فان الكل يلعنها ولكن الكل يلعبها .. يقصد أن الكل يلعب في ساحة الأسهم .. والكل أيضا يلعن هذه الساحة لان مخاطرها المحتملة قد تكون عنيفة .. !

المهم في الأمر .. لقد أخذنا الحديث عن علي الصالح إلى الحديث عن الأسهم .. خالصة القول أن علي الصالح ثروة إنسانية ولكنها – كما يبدو – لم تستثمر بدرجة كافية .. وذلك هو عيب علي .. القليل الكلام .. في وقت يعرف فيه الكل أن الصوت (الأعلى) هو الصوت الأفضل .. ! وعلي كان يستطيع أن يكون عالي الصوت .. وان يكون في نفس الوقت جيد الأداء .. بخلاف الآخرين الذين تعلو أصواتهم .. لتكشف في النهاية انهم لا يتكلمون ولكنهم يصرخون .. !

العدد ٥٤٤
السنة ١٩٨٢م ، ص ٥
« كلام بالمناسبة «



أدباء صحفيون

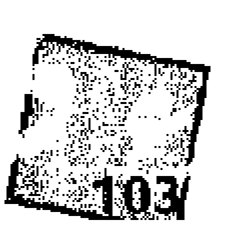
عرفت صحافة البحرين العديد من الأدباء والكتاب والشعراء وكتاب القصة . . بعض هؤلاء تركوا بصماتهم عليها . . والبعض الآخر مر بهدوء وصمت ولم يخلف وراءه لذكرى .

ومع ذلك فلا هؤلاء ولا هؤلاء استطاعوا أن يتحولوا إلى صحفيين رغم استقامة أسلوبهم وخلو اللغة التي يكتبون بها من اللحن والأخطاء . . ورغم حاجة الصحافة المستمرة إلى العناصر الصحفية القادرة على العطاء .

والسؤال : لماذا يفشل الكتاب في أن يصبحوا صحفيين . . بينما يقدر آخرون ممن هم اقل مستوى واقل نضجا أن يكونوا كذلك ؟

جواب ذلك أن أداة الصحافة ليست هي اللغة وحدها ولا هي الأسلوب وخلوه من الأخطاء . أداة الصحافة هي الحس الصحفي زائدا قدر من الإلمام باللغة زائدا قدره فائقة على التعامل طوال ٢٤ ساعة مع الأشياء كلها كما لو كانت مادة صحفية . . من هنا يمكن القول بأن الكتاب والأدباء والشعراء الذين حاولوا أن يدخلوا بلاط صاحبة الجلالة وفشلوا إنما كانوا يملكون أداة واحدة من الأدوات الصحفية الكثيرة . . إلا وهي اللغة . . وذلك وحده لا يكفي . . نقول ذلك لان بعض الذين يرشحون أنفسهم للعمل في صدى الأسبوع يشيرون غالبا إلى قدرتهم على نظم الشعر أو كتابة القصة . . ومرة أخرى . . ذلك وحده لا يكفي .

العدد ٦١٧
السنة ١٩٨٣م ، ص ٣
« آخر كلام «



عصر البطيخ يولد من جديد !!

كانت القرية التي تنام على أطراف الساحل الشمالي من الجزيرة تعيش هادئة لا يعكر صفوها شيء . . تنتظر موسم المطر كل سنة بفرح دونه فرحة الأطفال في يوم عيد ضاحك . . تنام مع غروب الشمس وتصحو مع صياح العصافير . . وكان الناس فيها من الطيبة وحسن الخلق بحيث لم يكونوا يتعاملون في حياتهم اليومية بالصكوك والوثائق . . لم يكونوا يعرفون الكذب لأنهم لم يمارسوه ولم يكونوا يظهرون في الطرقات بوجوه أخرى غير تلك التي يظهرون بها في بيوتهم . . يأكلون مما تنبت الأرض ويعيشون في ظل رجل مهيب يحبونه ويحترمونه بقدر ما يحبهم ويحترمهم . . يسأل عنهم وعن أحوالهم . . وحين يمرض أحدهم يعوده في داره ويمد له يد العون أن احتاج إلى العون . .

وإذا غاب أحدهم خارج سور القرية يسأل عنه . . ولذلك كان الجميع يعيشون فرحة الصباح وإطلالة الشمس المشرقة بحيوية . . يزرعون الأرض ويحفرون مجاري الماء يذهبون به إلى القرى المجاورة لبيعه هناك . . . و . . . و . . . وذات صباح معتم لم تشرق فيه الشمس كعادتها واكفهر فيه الأفق وتصاعدت الأتربة فوجئ أهل القرية بالسماء تمطر . . ولكنه لم يكن كمطر المواسم الواعدة . . كانت حبات المطر أشبه بكرات سوداء متفحمة . . وكانت الرياح وهي تزمجر تدفع بالمطر المتفحم صوب النوافذ والأبواب فتحدث أصواتاً مرعبة . . واطل أهل القرية من شقوق الأبواب ليروا ما لم يروه قط . . السماء تمطر في غير موسمها . . وحبات المطر التي كانت تصفع الجدران والأبواب والنوافذ بوحشية لم يألوفوها من قبل تملأ سماء القرية . . والشوارع والطرقات تحولت إلى مستنقعات سوداء لها رائحة بشعة . . ودخل الرعب قلوب أهل القرية . . وكان الأكثر رعبا هم الأطفال والنسوة . . وارتفعت أصوات أهل القرية من داخل دورهم يسألون الله اللطف بهم وهم يتصورون أن القيامة قد قامت . . وعاشت القرية يوما طويلا مرعبا . . وحين اصبح صباح اليوم التالي ورأوا الشمس وهي تشرق من جديد خرجوا من دورهم المهدمة إلى حيث مزارعهم فإذا هي خاوية على عروشها . . وإذا محاصيلها التي انتظروها سنة كاملة وهي مبعثرة واغصان الأشجار التي قصفتها الرياح ممدة كجثث ممزقة خرجت لتوها من معركة خاسرة . . وتنادي أهل القرية إلى الساحة الصغيرة ليتدارسوا الأمر . . وحين تجمع الكل وسط المستنقع الأسود الذي خلفته الأمطار والزوابع وراءها صاح كبير القوم المهاب فيهم :

– أيها الرجال . . اقدم لكم اعتذاري واسفي لأنني لم استطع أن اصنع لكم شيئا فقد كانت السماء أقوى منا . . أنا اعرف إنها محنة لم تمر بهذه القرية قط واعرف إننا كنا نخوض معركة غير متكافئة مع عدو أحمق . . ولكنني . . و . . ولم يستطيع كبير القرية أن يكمل كلامه . . فقد صعد فجأة إلى المنصة من وسط القوم رجل كبير الرأس كريه المنظر وحوله صبية يحملون في يدهم فؤوسا وسكاكين ومطارق . . ورأى أهل القرية هذا الرجل البشع وهو يزيح كبير القرية المهاب بمعاونة الصبية الذين تكاثروا على الرجل الطيب . . وإذا بالرجل الكريه المنظر ذي الرأس الكبيرة يتحدث إليهم بصوته الأخنف . .



– أيها الأخوان(وفي سره قال لعنة الله عليكم) جئت إليكم من أقاصي القرية الأخرى . . فأنا لست منكم . . ولكنني جئت لإنقاذكم بعد أن علمت بما حل بكم . . وها اناذا أضع نفسي تحت تصرفكم . . فاطلبوا مني ما تشاؤون فأنا قادر على أن احول قريتكم هذه إلى جنة وقادر على أن أعيد الابتسامة إلى وجوه أطفالكم وقادر على . .

وصاح صوت هادر من وسط الجموع الغفيرة مقاطعا الرجل الكريه . . كان عملاقا كالجبل . . هادرا كالثورة . . انه شيخ القرية :

– أيها الناس . . يا أهل قريتي . . هذا الرجل الكريه الواقف أمامكم الآن هو السبب في الدمار الذي حل بقريتنا . . لقد رأيته بنفسي يوم أمس قبل هبوب العاصفة المدمرة وهو يمسك براية سوداء يقطر منها الدم وهو يلوح بها فيما هو واقف على التلة المقابلة . . ومنذ تلك اللحظة – واقسم لكم على ما أقول – حل الدمار بقريتنا . . خرجت الزوابع من مكامنها ونزول المطر الأسود في غير موسمه . . وها انتم ذا ترون القرية وقد حل بها الخراب . . وواصل الرجل المهيب كلامه :

– يا أهل قريتي . . اطردوا هذا الشيطان . . اطردوه . . اطردوه . . اط . . اط . . ولكن الرجل الثائر لم يستطع أن يكمل كلامه . . احتبس صوته ثم إذا به يخر كجذع نخلة عملاقة لم تستطع أن تقاوم العاصفة . . لقد مات الرجل المهيب . . وازاح الرجل الكريه جثة العملاق من أمامه وسط صيحات أهل القرية وحزنهم على الرجل الطيب وهو يتطلع إلى أهل القرية بعين فيها كل وقاحة الكذب والنفاق :

– يا أهل القرية . . جئتكم لانقذكم . . لا تصدقوا هذا الرجل المخرف . . جئتكم احمل إليكم في جعبتي هذه (ومد يده إلى حقيبة كان يحملها على ظهره واخرج منها أجهزة راديو وتليفزيونات وأوراقا ملونة) . . ألا ترون ؟ لقد جئت إليكم بخير كثير . . بعد اليوم لن تعرف الزوابع الميتة طريقها إليكم . . ومنذ اليوم عليكم أن تتعلموا كيف تشاهدون التليفزيون وتستمعون إلى الراديو وكيف تقرأون الورق . . مالكم وما للأرض تزرعونها وتبذرونها . . عندي لكم ما هو أغلى من ذلك . . عندي لكم منكم جهاز تليفزيون وراديو وأكوام من الورق . .

إخواني أهل القرية الكرام . . لعلكم لا تعرفون من أنا . . ولذلك سأسمح لنفسي بأن أقول لكم من أنا . . أنا (الخارق) . . أنا الرجل العجيب الذي يستطيع أن يظهر أمامكم على شاشة التليفزيون طوال أربع وعشرين ساعة فيما أنا أغط في نوم عميق داخل بيتي . . منذ اليوم سترونني كثيرا . . سأطل عليكم بابتسامتي الرائعة وستعرفون إنني (خارق) بالفعل لا بالقول . . فأنا الرجل العجيب الخارق . . ولذلك أطالبكم بأن تبايعونني لاتولي تدبير شئون هذه القرية بدلا من هذا المعتوه الذي سقط أمامكم وهو يحاول أن يطاول الرجل . . الخوارق . . فيا أيها الرجال . . يا أهل القرية الكرام (وفي سره : يا أولاد . .) لا غنى لكم بعد اليوم عني . . ستتباركون بطلعتي البهية كثيرا . . سأزوركم في بيوتكم . . في دكاكينكم . . في مزارعكم . . وفي كل الأحوال سأكون حاملا في إحدى يدي مقصا وفي اليد الأخرى شريطا . . كل من يسكن بيتا جديدا سأقوم بافتتاحه رسميا . . كل

دكان في القرية سأعطيه شريطا يضعه أمام باب الدكان وعند مروري عليه سأقصه بهذا المقص (واخرج من جيبه مقصا رفعه أمام أهل القرية ليروه) . . كل مطعم جديد . . كل بائع سمبوسة . . سأقوم بافتتاح كل محلاتكم . . سترون أن أيام القرية كلها ستتحول إلى أيام فرح دائم . . فقط أرجوكم أن تعطوني الفرصة وسترون إنني لا أتردد عن تقديم خدماتي الجليلة لكم . . ستجدونني دائما في خدمتكم . . حتى ولو طلبتم مني أن أقوم بافتتاح المقبرة التي ستضم رفاتكم في يوم من الأيام فأنا تحت الخدمة .

. . و . . . والآن انصرفوا إلى بيوتكم . . وليذهب كل منكم إلى عمله . . وليأخذ كل منكم واحدا من التليفزيونات التي ترونها أمامي الآن . . لتتفرجوا ولتفرجوا عن أنفسكم بعد هذا الإعصار المخيف . . شيء واحد أريدكم أن تتذكرون جيدا . . هو إنني – ولا حاجة بي إلى أن اقسم على ذلك – لم اكن السبب في الإعصار المرعب الذي اجتاح قريتكم الآمنة بالأمس . . فأنا إنسان متواضع واخلاقي حسنة يشهد عليها ملفي في خدمة وتنمية تجارة الأخشاب والحديد في القرية المجاورة .

. . و . . . و . . . وطلع صباح اليوم التالي على الرجل الكريه البشع المنظر ذي الرأس الكبيرة وهو مازال يتكلم ويتكلم . . ولكن الساحة كانت خالية . . إلا من حبات المطر الأسود وجذوع النخل الخاوية التي اكتسحتها العاصفة الهوجاء . . !

وقبل أن يستدير بظهره مودعا الساحة الخالية صاح بأعلى صوته مهددا متوعدا :
– يظنون أن عصر البطيخ انتهى . . انهم واهمون فعصر البطيخ لم ينته بعد . . ! بعد يومين رأى أهل القرية في الساحة وعلى لوحة كبيرة علقت في أحد جوانبها يافطة كبيرة مكتوب عليها : عصر البطيخ يولد من جديد .

التوقيع : الخارق
هذه القصة

منذ زمن بعيد لم اكتب القصة . آخر عهدي بكتابتها كان في أواخر الستينيات وكانت بعنوان « المأزق « . منذ يومين وجدت نفسي امسك بالقلم لأكتب هذه القصة وفي ذهني كلمة قالها الصديق الأستاذ عبدالحميد المحادين ضمن مقال استعرض فيه مجموعتي القصصية « السيد « التي صدرت في أواسط السبعينيات . . يتساءل فيها لماذا لا أعود إلى كتابة القصة ؟

وهذه القصة « عصر البطيخ يولد من جديد « لا تعني شيئا على ارض الواقع . . ولكنها قد تعني أني قد أتفرغ لكتابة القصة في يوم من الأيام . . وعذرا إذا كانت قد احتلت ذات الموقع الذي تحتله عادة زاوية « أشياء من أشياء « التي اكتبها أسبوعيا .

العدد ٨٩٤
السنة ١٩٨٩م ، ص ٧
« حكاية من ديرتنا «




107

رابعاً: صور

(محطات من حياته)

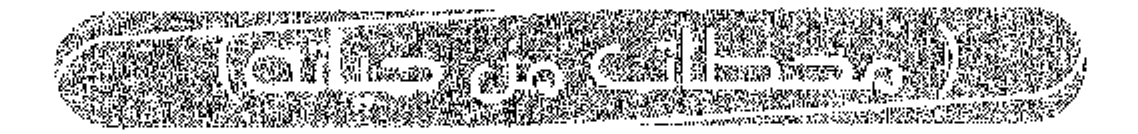
صور شخصية

صور عائلية

صور أثناء دراسته بالقاهرة

صور مع سفراء الدول بمملكة البحرين




محطات من حياته




















110

صور شخصية

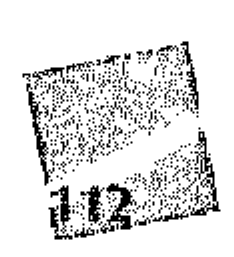











112

محطات من سيرة حياته

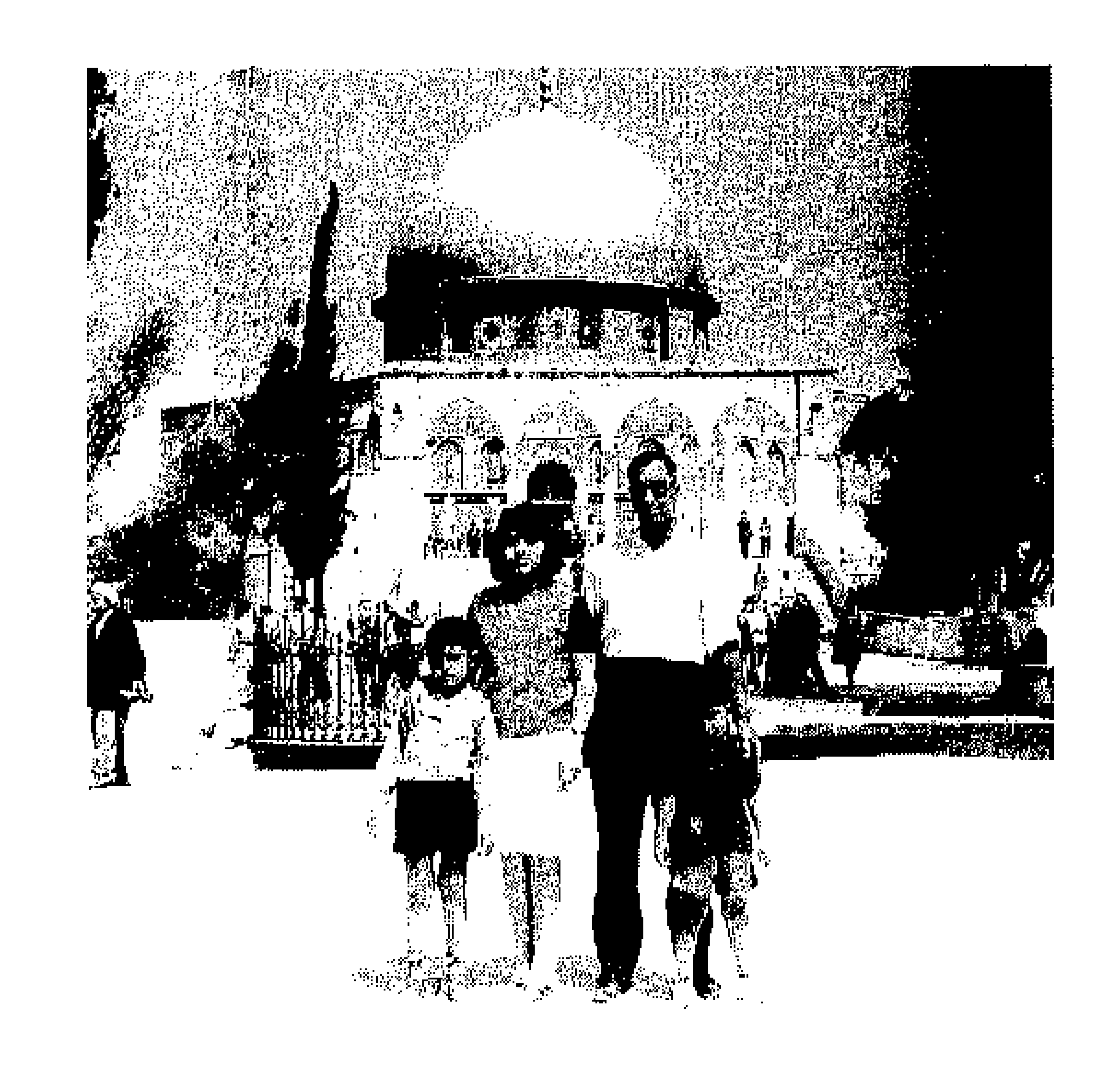








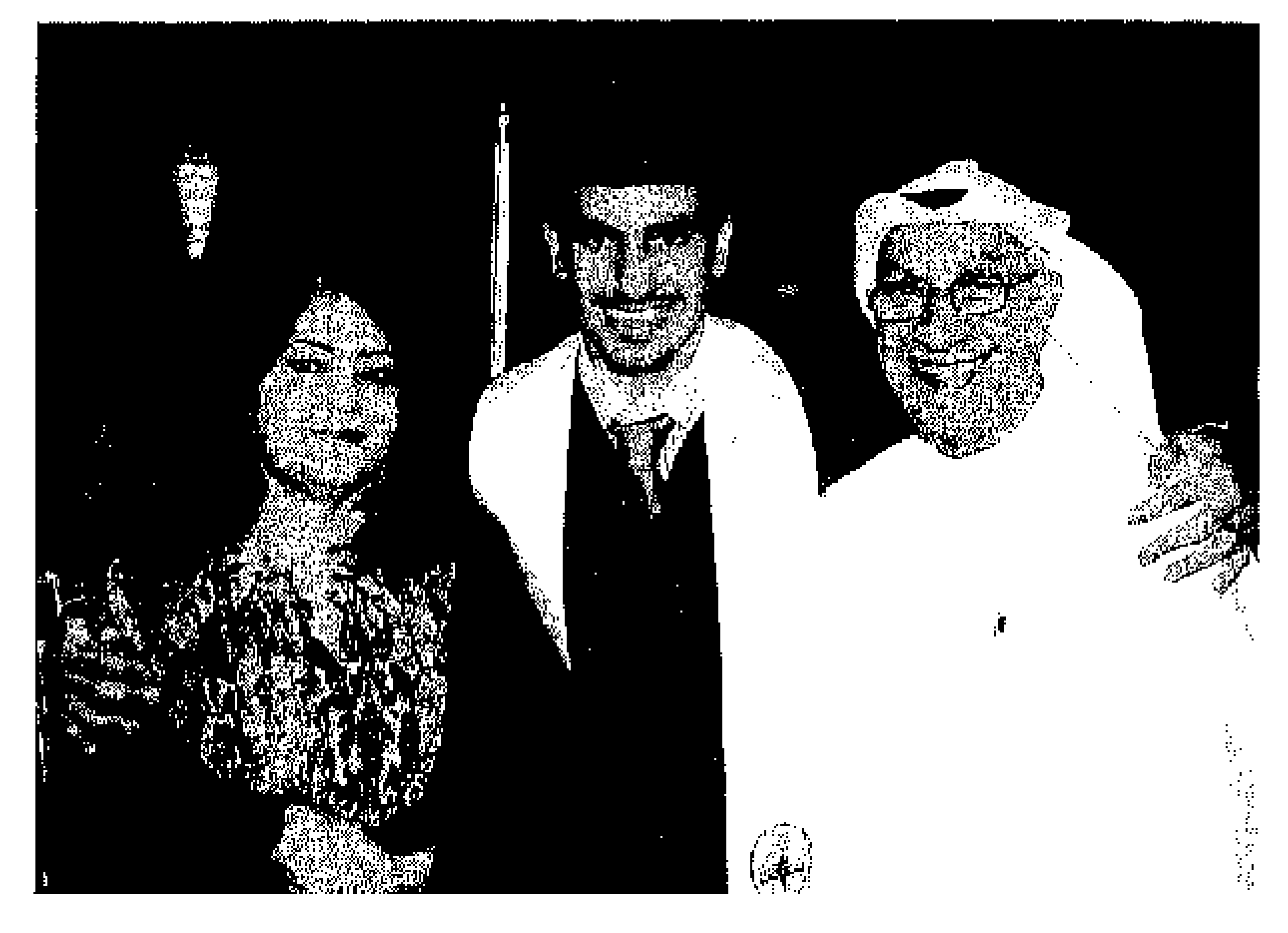




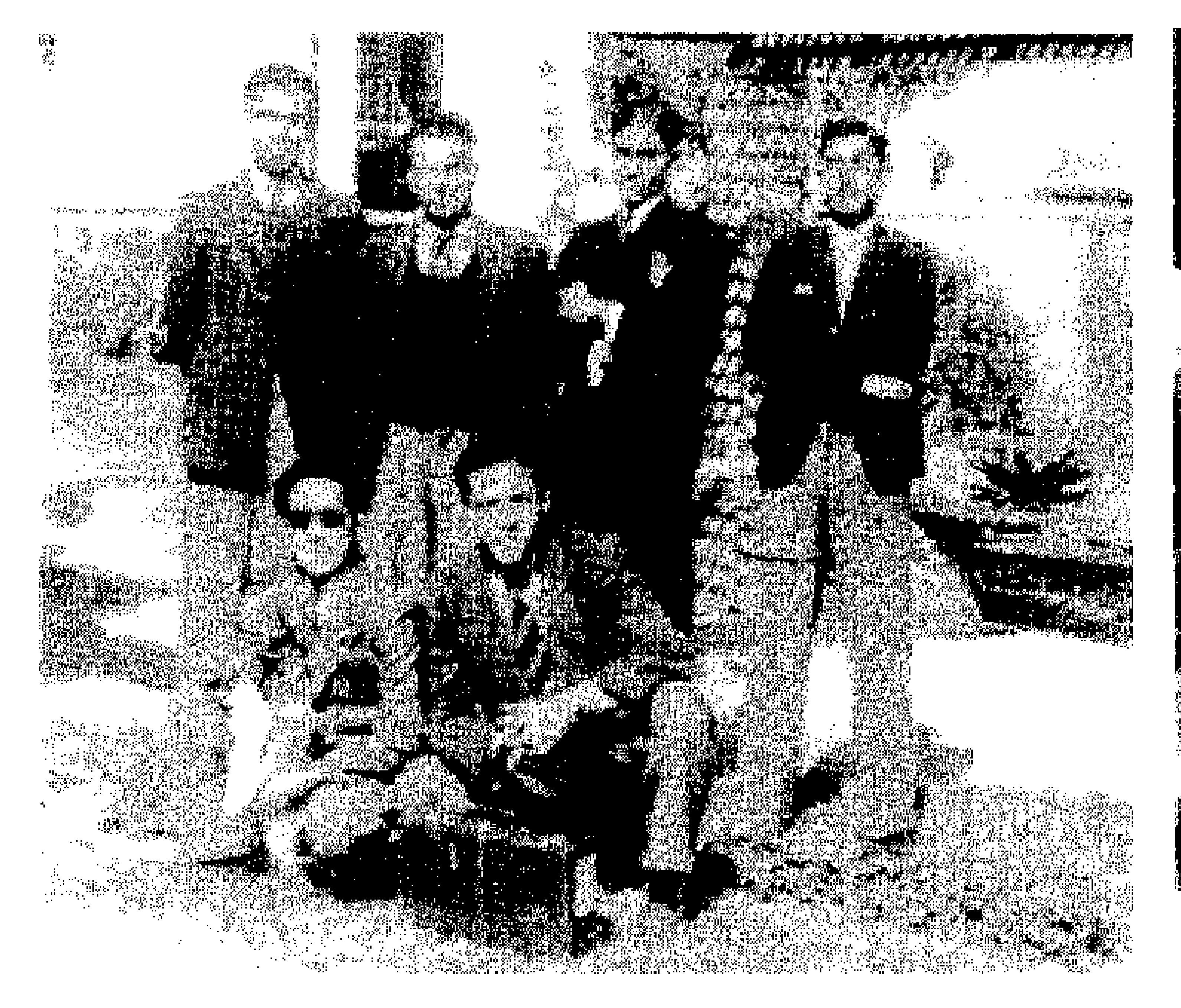








صور دراسة بالقاهرة



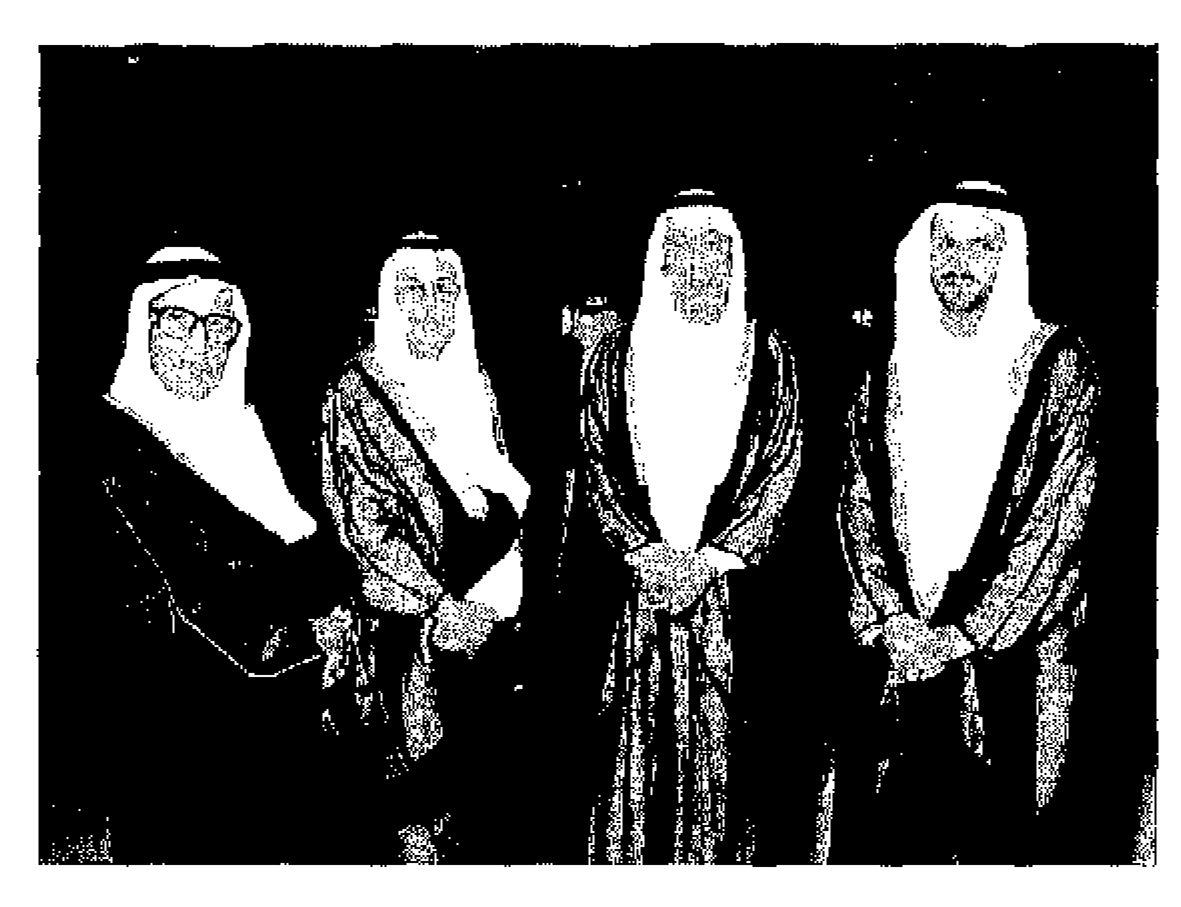





صور مع سفراء الدولة















شكر وتقدير

يتقدم مجلس أمناء مركز الشيخ ابراهيم بن محمد آل خليفة للثقافة والبحوث واللجنة الأهلية لتكريم روّاد الفكر والإبداع في مملكة البحرين بخالص الشكر والتقدير لمطابع الرجاء بالمملكة العربية السعودية لمساهمتهم الكريمة في اخراج وطبع هذا الكتاب ودعم المشاريع الثقافية للمؤسسات الأهلية.

مي بنت محمد بن ابراهيم آل خليفة


علي سيار
مطابع الرجاء
AL RAJA PRINTING PRESS
info@salmangroup.com
مركز الشيخ إبراهيم بن محمد آل خليفة
للثقافة والبحوث
علي سيار